الفصل الأول

مقدمات كتب التفسير عن علوم القرآن

لقد عرف السابقون قدر القرآن الكريم وحقه عليهم، فعاشوا فى النص القرآنى بكل وجدانهم ووعوه بكل عقولهم، وترجموا تعاليمه سلوكاً عملياً فى الحياة(١)، وأوقفوا حياتهم على خدمته، فألفوا فى علومه بعد حفظ لفظه والعمل بمعناه، وتبارت العلماء بهمم عالية وكتبوا فى شتى علومه، فألفوا فى تفسيره وناسخه ومنسوخه وأسباب نزوله وفى بلاغته وإعجازه وحكمه وأمثاله وغريبه وإعرابه وقصصه ومحكمه ومتشابهة ورسم حروفه ومكية ومدنية وقراءاته وفى تناسب سورة إلى غير ذلك.

ولقد أسهم أصحاب كتب التفسير فى ذلك فأفردوا مقدمات لكتبهم عن علوم القرآن، بينوا فيها ما ينطوى عليه النص القرآنى من علوم، وما واجهه خلال عصور التطور الثقافى من معارف جديدة استطاع أن يكون مصدر إلهام يستوحيه المفسرون بقدر ما تمكنهم ثقافاتهم وسعة آفاقهم فى المعارف الإنسانية وعلمهم بحقائق الوجود الكبرى وكلما ازداد المفسر علماً بأسرار النفس البشرية زاد كشفه عن أعماق النص القرآنى ومجالاته الخصيبة(٢).

تلك العلوم التى كانت أداة للمفسر على فهم النص القرآنى، وعلى مر العصور كان التأليف فى علوم القرآن يختلف حسب طبيعة العصر وحسب منهج المفسر فى التفسير وبداية من القرن الأول حتى نهاية القرن الثالث الهجرى، كان التأليف قاصراً على فن واحد من علوم القرآن، على ما سنوضحه فى الفصل الثانى من تلك الدراسة على أن الواضح لنا

---

(١) د. مصطفى الصاوى الجوينى: مناهج فى التفسير، ط٤طبعة منشأة المعارف بالإسكندرية

(٢) د. عفت الشرقاوى: اتجاهات التفسير فى مصر فى العصر الحديث، ص٤٢، طبعة سنة ١٩٨٠.

اعتبارا من بداية القرن الرابع الهجرى نشاط حركة التأليف فى علوم القرآن مجتمعه ويرجع الفضل الأول فى ذلك إلى علماء التفسير على ما أفردوه من مقدمات لكتبهم عن علوم القرآن التى ارتأينا أن نعرض لتلك المقدمات لنبين ما جاء بها من علوم من خلال أشهر كتب التفسير ذات الاتجاهات المختلفة محددين ذلك ببداية القرن الرابع الهجرى حتى الثامن الهجرى، والتى من أشهرها:

١- **جامع البيان فى تأويل آى القرآن:**

لأبى جعفر محمد بن جرير الطبرى المتوفى سنة ٣١٠هـ الذى يمثل التفسير النقلى.

٢- **الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل:**

لأبى القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى المتوفى سنة ٥٣٨هـ الذى يمثل التفسير المعتزلى.

٣- **الجامع لأحكام القرآن:**

القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ، الذى يمثل التفسير الفقهى.

واخترنا من القرن الثامن الهجرى:

٤- **التسهيل لعلوم التنزيل:**

لابن جزى الكلبى الغرناطى المتوفى سنة ٧٤١هـ الذى يمثل أهل المغرب العربى.

وما يهمنا من تلك الكتب هو ما جاء بمقدماتهم من علوم القرآن وخطتنا فى ذلك أن نبين ما جاء بمقدمة كل تفسير من علوم القرآن، منوهين بما اتفق فيه العلماء وما ناقشوه من تلك العلوم وما انفرد به كل منهم على اختلاف مناهج التفسير، بادئين بالأقدم تاريخياً، فالأقدم وهكذا.. موضحين كيف تطورت تلك العلوم خلال عصور التطور الثقافى.

أولاً: ما جاء بمقدمات كتب التفسير من علوم القرآن:

١- جامع البيان فى تأويل آى القرآن: لابن جرير الطبرى ت: ٣١٠هـ:

لقد تمثلت فى الطبرى كل ثقافات عصره، فهو دارس لعلوم القرآن والحديث خبير باللغة وآدابها، ملم بأيام العرب وتاريخهم، يقول السيوطى: إنه جمع من العلوم ما لم يشاركه فيه أحد من أهل عصره، فكان حافظاً لكتاب الله، بصيراً بالمعانى فقيهاً فى أحكام القرآن، عالماً بالسنن وطرقها، صحيحها وسقيمها، ناسخها ومنسوخها، عالماً بأحوال الصحابة والتابعين، بصيراً بأيام الناس وأخبارهم، وقد ألف الطبرى فى كل تلك العلوم، غير أن معظم مؤلفاته اختفت ولم يكتب لها البقاء واشتهر من مؤلفاته التى وصلت إلينا كتابه فى تاريخ الأمم والملوك، وكتابه جامع البيان فى تفسير القرآن(١).

والذى نحن بصدد بيان ما جاء بمقدمته من علوم القرآن، والتى يمكننا أن نعدها من أدوات المفسر التى تعينه على فهم القرآن، فلقد صدر تفسيره بمقدمة قيمة عن علوم القرآن ولقد أشرنا إلى أنه يمثل التفسير النقلى لأنه لا يناقش أمراً إلا بعد ذكر الأخبار المنقولة عن الرسول ﷺ والصحابة والتابعين، على أنه فى بداية مقدمة تفسيره أشار إلى علوم غاية فى الأهمية لم يناقشها فى المقدمة على أن المطلع على تفسيره يجد أنه ناقشها فى أثناء تفسيره من تلك العلوم التى أشار إليها:

(١) د. الشحات السيد زغلول: الاتجاهات الفكرية فى التفسير، ص١٦٥.

١- معرفة المحكم والمتشابه(١).

٢- معرفة حلاله وحرامه.

٣- معرفة عامه وخاصه(٢).

٤- معرفة مجمله ومفسره

٥- معرفة ناسخه ومنسوخه(٣).

٦- معرفة ظاهره وباطنه.

٧- معرفة تأويل آيه وتفسير مشكله.

---

(١) راجع ابن جرير الطبري: جامع البيان في تأويل أي القرآن ج٦ ص١٦٩، قوله: "وأما المحكمات، فإنهن اللواتي قد أحكمن بالبيان والتفصيل وأثبتت حججهن وأدلتهن على ما جعلن أدلة عليه من حلال وحرام ووعد ووعيد وثواب وعقاب، وأمر وزجر، وخبر ومثل،وعظة وعبر وما أشبه ذلك"، ص١٧٠.

وأما قوله: متشابهات: فإن معناه: متشابهات في التلاوة، مختلفات في المعنى، كما قال جل ثناؤه ﴿وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا﴾ (سورة البقرة: ٢٥ يعني في المنظر مختلفا في المطعم،وكما قال مخبرا عمن أخبر عنه من بني إسرائيل أنه قال: ﴿إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا﴾ (سورة البقرة: ٧٠)، يعنون بذلك: تشابه علينا في الصفة وإن اختلفت أنواعه، ص١٧٣، وقد اختلف أهل التأويل في تأويل قوله: ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ (آل عمران: ٧)، ما المحكم في أي الكتاب وما المتشابه منه؟

فقال بعضهم: المحكمات من أي القرآن المعمول بهن، وهن الناسخات أو المثبتات الأحكام والمتشابهات من آية، المتروك العمل بهن المنسوخات ص١٧٤.

وقال آخرون: المحكمات من أي القرآن: ما أحكم الله فيه ببيان حلاله وحرامه والمتشابه منها: ما أشبه بعضه بعضا في المعاني وإن اختلفت ألفاظه، ص١٧٦. =

= وقال آخرون: المحكمات من أي الكتاب: ما لم يحتمل من التأويل غير وجه واحد، والمتشابه منها ما احتمل من التأويل أوجها، ص١٧٧ إلى غير ذلك مما ذكره الطبري في المحكم والمتشابه.

(٢، ٢) راجع الطبري: المصدر السابق ج٩ ص٢٢٣: حيث ذكر قاعدة مهمة في المجمل والمفسر والخاص والعام يقول في قوله تعالى: ﴿وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ﴾ (النساء:١١٩)ما ينبغي أن معنى ذلك على غير ما ذهب إليه لأن تبتيك آذان الأنعام من تغيير خلق الله الذي هو أجسام، وقد مضى الخبر عنه أنه وعد الأمر بتغيير خلق الله من الأجسام مفسرا فلا وجه لإعادة الخبر عنه به مجملا، إذ كان الفصيح في كلام العرب أن يترجم عن المجمل من الكلام بالمفسر وبالخاص عن العام، دون الترجمة عن المفسر بالمجمل وبالعام عن الخاص، وتوجيه كتاب الله إلى الأفصح من الكلام، أولى من توجيهه إلى غيره، ما وجد إليه السبيل، ص٢٢٣.

(٣) راجع الطبري: المصدر نفسه ج٢ ص٤٧١، ص٤٧٢: حيث يقول في معنى قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ﴾ ما ننقل من حكم آية، إلى غيره فنبدله ونغيره، وذلك أن يحول الحلال حراما، والحرام حلالا والمباح محظورا والمحظور مباحا، ولا يكون إلا في الأمر والنهي والحظر والإطلاق، والمنع والإباحة، فأما الأخبار، فلا يكون فيها ناسخ ولا منسوخ وأصل النسخ من نسخ الكتاب وهو نقله من نسخة إلى أخرى غيرها فكذلك معنى "نسخ" الحكم وغيره، إنما هو تحويله ونقل عبارته عنه إلى غيرها.

حيث ذكر تلك فى صدر مقدمة تفسيره بقوله : "اللهم فوفقنا لإصابة صواب القول فى محكمه ومتشابهه، وحلاله وحرامه، وعامه وخاصه، ومجمله ومفسره وناسخه ومنسوخه،وظاهره وباطنه، وتأويل آيه وتفسير مشكله"(١).

أشار إلى تلك العلوم فى مقدمة تفسيره دون تفسير، ثم قسم مقدمة تفسيره إلى أبواب حدد فيها علوماً لابد للمفسر من معرفتها حيث يقول: ونحن منشئون إن شاء الله ذلك كتاباً مستوعباً لكل ما بالناس إليه الحاجة من علمه جامعاً،ومن سائر الكتب غيره فى ذلك كافياً(٢).

ومن العلوم التى أوردها الطبرى فى مقدمة تفسيره وتناولها بالتفصيل:

١- (معرفة) أن القرآن عربى:

مهد ابن جرير الطبرى لما جاء فى مقدمة تفسيره من علوم بتمهيد سماه: القول فى البيان عن اتفاق معانى آى القرآن ومعانى منطق من نزل بلسانه القرآن من وجه البيان مع الإبانة عن فضل المعنى الذي به باين القرآن سائر الكلام(٣)، مشيراً إلى أنه لابد من معرفة تلك المعانى على من لم يعان رياضة العلوم العربية، ولم تستحكم معرفته بتصاريف وجوه منطق الألسن السليقية الطبيعية(٤).

وقد خصص ذلك التمهيد لكى يثبت أن القرآن عربى ولهذا بدأ ببيان فضل أهل البيان عن أهل البكم والمستعجم اللسان حيث يقول: إن فضل أهل البيان على أهل البكم والمستعجم اللسان، بفضل اقتدار هذا من نفسه على إبانة ما أراد إبانته عن نفسه ببيانه واستعجام لسان هذا عما حاول إبانته بلسانه(٥)، كما بين أن أعلى منازل البيان درجة أبلغه فى حاجة المبين عن نفسه وأبينه عن مراد قائله، وأقربه من فهم سامعه، والطبرى

(١) ابن جرير الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٦.
(٢) ابن جرير الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص ٦ وما بعدها.
(٣) ابن جرير الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص ٨.
(٤) ابن جرير الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص ٧.
(٥) ابن جرير الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص ٩.

ينتقل من برهان إلى برهان فهو يثبت أن لا بيان أبين، ولا حكمة ابلغ ولا منطق أعلى ولا كلام اشرف ما أتاهم به من البيان والحكمة والفرقان، بلسان مثل ألسنتهم، ومنطق موافقة معانيه معانى منطقهم، ثم تحداهم أن يأتوا بمثل بعضه فأقر جميعهم بالعجز(١).

ثم ينتقل بنا إلى إثبات أن القرآن إنما نزل بلسان من نزل إليه حيث يقول: إن كتاب الله الذى أنزله إلى نبينا محمد ﷺ بلسان محمد ﷺ. وإذا كان لسان محمد ﷺ عربياً بين أن القرآن عربى(٢).

مصداقاً لقوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣).

ثم بين فى نهاية التمهيد موافقة ما فى كتاب الله لخصائص كلام العرب(٤) ليدلل أن القرآن عربى.

٢- (معرفة) أن ليس فى القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب.

يورد ذلك تحت باب (معرفة) الأحرف التى اتفقت فيها ألفاظ العرب وألفاظ غيرها من بعض أجناس الأمم، وهو يريد بذلك أن يجيب عن السؤال هل فى القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب؟

ولكى يثبت أن القرآن ليس فيه كلمات خارجة عن لغات العرب يتساءل عن معنى الأخبار التى رويت عن ذلك والتى تشير إلى أن القرآن فيه من غير لغات العرب، وأنه

---

(١) ابن جرير الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص ١٠.
(٢) ابن جرير الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص ١١.
(٣) سورة يوسف، آية ٢.
(٤) راجع الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص١٢، حيث يقول: فبين إذا كان موجودا فى كلام العرب الإيجاز والاختصار والاجتزاء بالإخفاء من الإظهار، وبالقلة من الإكثار فى بعض الأحوال واستعمال الإطالة والإكثار، والترداد والتكرار، وإظهار المعانى بالأسماء دون الكناية عنها والإسرار فى بعض الأوقات والخبر عن الخاص فى المراد بالعام الظاهر وعن العام فى المراد بالخاص الظاهر وعن الكناية والمراد منه المصرح وعن الصفة والمراد الموصوف وعن الموصوف والمراد الصفة، وتقديم ما هو فى المعنى مؤخر، وتأخير ما هو فى المعنى مقدم والاكتفاء ببعض من بعض وبما يظهر عما يحذف وإظهار- ما حظه الحذف- أن يكون ما فى كتاب الله المنزل على نبيه محمد ﷺ من ذلك فى كل ذلك له نظيرا، وله مثلا وشبيها

أورد مع تلك الأخبار(١).

ما خرج عن برهانه من أنه غير جائز أن يخاطب الله تعالى ذكره أحداً من خلقه إلا بما يفهمه، وأن يرسل إليه رسالة إلا باللسان الذى يفقهه(٢)، وهو يجيب عن ذلك بقوله: إن الذى قالوه غير خارج عن معنى ما قلنا، فيكون ذلك قولاً لقولنا خلافاً وإنما قال بعضهم: حرف كذا بلسان الحبشة معنا هكذا،وحرف كذا بلسان العجم معناه كذا، وهو يؤكد أن هذا كثير فى الألسن المختلفة كالدرهم والدينار والدواة والقلم والقرطاس مما اتفقت فيه الفارسية والعربية باللفظ والمعنى، وهو ينكر أن يكون ذلك كله فارسياً لا عربياً، أو عربياً لا فارسياً، أو بعضه فارسى لا عربى أو بعضه عربى لا فارسى أو كان مخرج أصله من عند العرب فوقع إلى العجم فنطقوا به أو كان مخرج أصله من عند الفرس فوقع إلى العرب فنطقوا به، فليست العرب بأولى أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العجم، ولا العجم أحق أن تكون كان مخرج أصل ذلك منها إلى العرب(٣).

بل يؤكد أن الصواب فى ذلك: أن يسمى عربياً أعجمياً أو حبشياً عربياً، إذا كانت الأمتان له مستعملتين استعمال سائر منطقها وبيانها(٤).

ومعنى ذلك أن الطبرى قد اثبت أن القرآن ليس فيه كلمات خارجة عن لغات العرب، إنما ذلك كان اتفاقاً فى اللفظ والمعنى بين الأجناس المختلفة، وأن الله أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم(٥).

---

(١) راجع الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص١٣،حيث يقول: فما أنت قائل فيما حدثكم به محمد بن حميد الرازى قال: حدثنا حكام بن سلم، قال: حدثنا عنبسه، عن أبى إسحق، عن أبى الأحوص عن أبى موسى: "يؤتكم كفلين من رحمته" قال: الكفلان: ضعفان من الأجر بلسان الحبشة، وفيما حدثكم به ابن حميد، قال: حدثنا حكام عن عنبسة، عن أبى اسحق عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: إن ناشئة الليل"، قال: بلسان الحبشة إذا قام الرجل من الليل قالوا: نشأ إلى غير ذلك من الأخبار التى أوردها من ص ١٣: ص١٤.

(٢) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص١٣.

(٣) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص ١٥.

(٤) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص١٦.

(٥) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٢١.

٢- (معرفة) اللغة التى نزل بها من لغات العرب:

يريد أن يثبت فى هذا الجانب بأى لغات العرب نزل القرآن، يتساءل فى البداية قائلاً: فإذا كان القرآن أنزل بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم فبأى ألسن العرب نزل: أبألسن جميعها أم بألسن بعضها؟، ولكى يثبت ذلك يستعرض الأخبار التى رويت عن النبى ﷺ عن معنى قوله ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"(١).

نراه بعد أن يورد الأخبار الدالة على ذلك يثبت أن الذى نزل به القرآن من ألسن العرب البعض منها دون الجميع فهى أكثر من سبعة وهو يناقش معنى قول النبى ﷺ: أنزل القرآن على سبعة أحرف، هل هى سبع لغات أم أنه نزل بأمر ونهى وزجر وترغيب وترهيب وقصص ومثل مما أثبته مخالفوه لذلك يرى أن المراد بالسبعة أحرف: هى السبع لغات، أما السبعة أبواب من الجنة فهى المعانى التى فيها من الأمر والنهى والزجر والترغيب والترهيب والقصص والمثل، وذلك فى ضوء حديث رسول الله ﷺ: أمرت أن أقرأ القرآن على سبعة أحرف من سبعة أبواب الجنة(٢).

ثم يدلل على صحة قوله من أن معنى قول النبى ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" أنه نزل على سبع لغات ما جاء من الروايات الثابتة عن عمر بن الخطاب وعبد الله ابن مسعود، وأبى ابن كعب، وسائر من قدمناه الرواية عنه، عن النبى ﷺ، وذلك أنهم تماروا فى القرآن، فخالف بعضهم بعضاً فى نفس التلاوة، دون ما فى ذلك من المعانى وأنهم احتكموا فيه إلى النبى ﷺ فاستقرأ كل رجل منهم، ثم صوب جميعهم فى قراءتهم على اختلافها، ولو كان اختلافاً فيما دلت عليه تلاوتهم من التحليل والتحريم والوعد والوعيد لكان مستحيلاً أن يصوب جميعهم(٣).

---

(١) راجع الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٢١: ص٤٦، حيث يورد الأخبار التى رويت عن الرسول ﷺ من رقم٧: ٤٦ فى ذلك المعنى.

(٢) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٤٧.

(٣) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٤٨.

وهو يؤكد أن اختلاف الأحرف السبعة إنما هو اختلاف ألفاظ كقولك: "هلم وتعالى" باتفاق المعانى، لا باختلاف معان موجبة اختلاف أحكام(١).

وهذا يؤكد ما رواه عن يحيى بن داود الواسطى قال: حدثنا أبو أسامة،عن الأعمش قال:قرأ أنس هذه الآية:﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ ٱلَّيْلِ هِىَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلًا ﴾(٢) فقال له بعض القوم يا أبا حمزة، إنما هى "وأقوم" فقال: أقوم وأصوب وأهيأ واحد".

والحق أن الطبرى أوفى القول فى ذلك بالرغم مما دار من جدل حول هذه القضية إلا أنه قد ناقشها مناقشة الواعى الماهر مستنداً فى ذلك على ما ورد من الأخبار المأثورة التى وردت فى هذا الشأن وتأكيداً لذلك ينتقل بنا إلى برهان آخر فيتساءل: هل فى القرآن مما هو مثبت فى المصاحف حرف مقروء بسبع لغات؟

ويجيب عن ذلك بقوله: إنا لم ندع أن ذلك موجود اليوم، وإنما أخبرنا أن معنى قول النبى ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" هن لغات سبع، فى حرف واحد، وكلمة واحدة باختلاف الألفاظ واتفاق المعانى، كقول القائل هلم، وأقبل، وتعال، وإلىَّ، وقصدى ونحوى وقربى، ونحو ذلك، مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعانى وقد أورد فى ذلك من الأخبار(٣).

التى تثبت أن إمام المسلمين وأمير المؤمنين عثمان بن عفان ﷺ جمع المسلمين على مصحف واحد وحرف واحد وحرق ما عدا المصحف الذى جمعهم عليه، فاستوسقت له الأمة على ذلك بالطاعة وتركت القراءة بالأحرف الست التى عزم عليها إمامها العادل فى

(١) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٥٠.
(٢) سورة المزمل: آية ٦.
(٣) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٥٨ وما بعدها.

تركها، فلا قراءة للمسلمين اليوم إلا بالحرف الواحد الذى اختاره لهم إمامهم الشفيق الناصح، دون ما عداه من الأحرف الستة الباقية(١).

ثم يوضح اللغات السبع بأى ألسن العرب؟ وكعادته يورد الأخبار التى ذكرت أو رويت فى ذلك وما جاء من تحقيق فيها وما اختلف حولها، فقيل إن خمسة منها لهوازن واثنين منها لقريش وخزاعة، وهو لا يسلم بالرواية بل يقول: روى جميع ذلك عن ابن عباس وليست الرواية عنه من رواية من يجوز الاحتجاج بنقله، وذلك أن الذى روى عنه: أن خمسة منها من لسان العجز من هوازن "الكلبى عن أبى صالح، وأن الذى روى عنه: "أن اللسانين الآخرين لسان قريش وخزاعة" قتادة، وقتادة لم يلقه ولم يسمع عنه(٢).

وخلاصة القول فى ذلك أن الطبرى حدد لنا:

أ - أن المراد بالسبعة أحرف سبع لغات من لغات العرب، والدليل على ذلك تصويب النبى ﷺ لكل قراءة، وأن اختلافهم فى القراءة هو اختلاف ألفاظ باتفاق معان.

ب- أن تلك اللغات غير موجودة فى المصحف الآن لما جمع عليه عثمان بن عفان ﷺ الأمة على حرف واحد ومصحف واحد.

ج- أن تلك الأحرف إنما هى بلسان بعض العرب دون الكل.

٤- (معرفة) وجوه مطالب تأويل القرآن:

يضع الطبرى آيات القرآن منطلقاً لبيان وجوب مطالب تأويل القرآن فمن قوله تعالى: ﴿ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾(٣)، وقوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا

(١) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٦٤.
(٢) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص ٦٦.
(٣) سورة النحل: آية ٦٤.

تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۖ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِي ٱلۡعِلۡمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلّٞ مِّنۡ عِندِ رَبِّنَاۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴾ (١).

من هذا المنطلق حدد الطبرى أوجه تأويل القرآن حيث يقول: إن من القرآن، ما لا يوصل إلى علم تأويله إلا ببيان الرسول ﷺ،وذلك تأويل جميع ما فيه من وجوه أمره وصنوف نهيه، وجميع ما فيه من أحكام لا يعلمها إلا ببيان النبى ﷺ لا يجوز لأحد القول فيه إلا ببيان النبى ﷺ، ومنه ما لا يعلم تأويله إلا الله الواحد القهار كالآجال والأوقات ومنه ما يعلم تأويله كل ذى علم باللسان الذى نزل به القرآن وذلك: كإقامة الإعراب،ومعرفة المسميات بأسمائها والموصفات بصفاتها، وما رواه ابن عباس من أن التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها وتفسير لا يعذر أحد بجهالته،وتفسير يعلمه العلماء وتفسير لا يعلمه إلا الله تعالى ذكره(٢)، ناقشه الطبرى بقوله: إن الوجه الرابع الذى ذكره ابن عباس: من أن أحداً لا يعذر بجهالته، إنما هو خبر عن أن من تأويله ما لا يجوز لأحد الجهل به(٣).

والقول الصحيح على قول الطبرى ثلاثة أوجه لتأويله(٤).

٥- النهى عن القول فى تأويل القرآن بالرأى:

استند ابن جرير الطبرى فى ذلك على الأخبار الواردة عن رسول الله ﷺ، والتى بينها فى بداية هذا الباب موضحاً المقصود بقول النبى ﷺ: "من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ

---

(١) سورة آل عمران: آية ٧.

(٢) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٧٥.

(٣) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٧٦.

(٤) راجع الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٩٢، حيث يقول: إن تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة أحدها لا سبيل إلى الوصول إليه وهو الذى استأثر الله بعلمه وحجب علمه عن جميع خلقه،وهو أوقات ما كان من آجال الأمور الحادثة التى أخبر الله فى كتابه أنها كائنة مثل: وقت قيام الساعة ووقت نزول عيسى بن مريم، ووقت طلوع الشمس من مغربها، والنفخ فى الصور وما أشبه ذلك، والوجه الثانى، ما خص الله بعلم تأويله نبيه ﷺ دون سائر أمته وهو ما فيه مما بعباده إلى علم تأويله الحاجة فلا سبيل لهم إلى ذلك إلا ببيان الرسول ﷺ لهم تأويله،والثالث منها ما كان علمه عند أهل اللسان الذى نزل به القرآن وذلك علم تأويل عربيته وإعرابه لا يوصل إلى علم ذلك إلا من قبلهم.

مقعده من النار"[1]، مورداً فى ذلك الأخبار التى تدور كلها حول النهى عن القول فى تأويل القرآن بالرأى، مثبتاً أن ذلك النهى عما لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله ﷺ فليس لأحد أن يقول فيه برأيه[2]

وكذلك القائل فيما لا يدرك علمه إلا الله، هذان هما المقصودان بحديث النهى وليس ذلك خاصاً بالقرآن كله، وهو مرتبط بالأوجه الثلاثة التى ذكرها فى مطالب تأويله والأخبار التى رويت فى ذلك تدل على هذا، أى أنه لا يجوز لأحد القول فيما لا يدركم علمه إلا ببيان رسول الله ﷺ،وكذا فيما لا يدرك علمه إلا الله، وهو مباح لمن سوى ذلك.

٦- الحض على العلم بتفسير القرآن، ومن كان يفسره من الصحابة:

ينتقل الطبرى من تبيين النهى عن القول فى القرآن بالرأى إلى ذكر الأخبار التى تحض على تفسير القرآن ومعرفة من كان يفسره من الصحابة فيذكر فى ذلك الأخبار[3]

التى رويت عن الصحابة بادئاً بقول ابن مسعود كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن[4]، وقول سعيد بن جبير: من قرأ القرآن ثم لم يفسره، كان كالأعمى أو كالأعرابى والطبرى يرى أن الله ﷻ حث عباده على الاعتبار بما فى آى القرآن من المواعظ والبينات وما أشبه ذلك من آى القرآن. ومن هنا كان لابد لهم من معرفة تأويل ما لم يحجب عنهم تأويله من آية، ومحال أن يفهم ذلك إلا لمن كان بمعانى بيانه عالماً وبكلام العرب عارفاً، ثم يتدبره بعد، ويتعظ بحكمه وصنوف عبره ومن هنا كان الصحابة رضوان الله عليهم لا يتجاوزون العشر آيات حتى يعرفوا معانيهن والعمل بهن.

---

(١) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٧٧.

(٢) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٧٩.

(٣) راجع الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٨٠، "الأخبار من رقم ٨١ إلى رقم ٨٩"،حيث يقول: ٨١ حدثنا محمد بن على بن الحسن بن شفيق المروزى، قال سمعت أبى يقول: حدثنا الحسين بن واقد، قال: حدثنا الأعمش، عن شفيق، عن ابن مسعود قال: كان الرجل منا إذا تعلم عشر آيات لم يجاوزهن حتى يعرف معانيهن، والعمل بهن.
٨٣: وحدثنا أبو كريب، قال: حدثنا جابر بن نوح، قال حدثنا الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: قال عبد الله: والذى لا إله غيره ما نزلت آية من كتاب الله إلا وأنا أعلم فيم نزلت؟ وأين أنزلت؟ ولو أعلم مكان أحد أعلم بكتاب الله منى تناوله المطايا لأتيته إلى غير ذلك من الأخبار التى أوردها.

(٤) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٨٠.

وبهذا صح أنهم بتأويل ما لم يحجب عنهم علمه من آية الذى استأثر الله بعلمه منه دون خلقه، الذى قد قدمنا صفته آنفاً عارفون، وإذا صح ذلك فسد قول من أنكر تفسير المفسرين من كتاب الله وتنزيله ما لم يحجب عن خلقه تأويله(١).

ولهذا وجب على المفسر أن يكون بهذا عالماً وعارفاً حتى لا يقع فيما نهى عنه رسول الله ﷺ ولا يخوض فيما خص الرسول ﷺ بعلمه ويقتدى بالسلف الصالح فى تفسيره للقرآن الكريم.

٧- (معرفة) من كان من قراء المفسرين محمولاً علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموماً علمه به:

يروى الطبرى الأخبار(٢) التى تبين ذلك فإذا ما انتهى من روايته لتلك الأخبار يوضح لنا وجوه تأويل القرآن(٣) ليصل بنا إلى أن أحق المفسرين بإصابة الحق أوضحهم حجة فيما تأول وفسر مما كان تأويله إلى رسول الله ﷺ دون سائر أمته من أخبار رسول الله ﷺ الثابتة عنه: إما من جهة النقل المستفيض، فيما وجد فيه من ذلك عنه النقل المستفيض،وإما من جهة نقل العدول الإثبات، فيما لم يكن فيه عنه النقل المستفيض أو من جهة الدلالة المنصوبة على صحته، وأصحهم برهاناً- فيما ترجم وبين من ذلك- مما كان مدركاً علمه من جهة اللسان: إما بالشواهد من أشعارهم السائرة، وإما من منطقهم ولغاتهم المستفيضة المعروفة كائناً من كان ذلك المتأول والمفسر، بعد أن لا يكون خارجاً تأويله وتفسيره، ما تأول وفسر من ذلك عن أقوال السلف من الصحابة والأئمة والخلف من التابعين من علماء الأمة(٤).

---

(١) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٨٣.

(٢) راجع الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٩٠ وما بعدها. "حيث أورد الأخبار من رقم ١٠٤ إلى رقم ١١٦" قال: حدثنا محمد بن بشار، قال حدثنا وكيع قال: حدثنا سفيان، عن سليمان، عن مسلم، قال قال عبد الله: نعم ترجمان القرآن ابن عباس، حديث ١٠٤.

وقال: حدثنا أبو كريب: قال حدثنا طلق بن غنام، عن عثمان المكى عن ابن أبى مليكة قال: رأيت مجاهدا يسأل ابن عباس عن تفسير القرآن ومعه الواحه فيقول له ابن عباس: "اكتب"، قال حتى سأله عن التفسير كله. حديث ١٠٧، إلى غير ذلك من الأخبار التى ذكرها فى هذا الجانب.

(٣) سبق ذكر تلك الأوجه فى هذا البحث.

(٤) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٩٣.

وعلى هذا فإن ما كان محموداً تفسيره من كان معتمداً على أخبار رسول الله ﷺ فيما كان بيان علم تأويله لرسول الله ﷺ، أما ما كان علمه لأهل اللسان الذى نزل به القرآن فأحسن المفسرين من كان تفسيره معتمداً على الشواهد من أشعارهم وعلى منطقهم ولغاتهم.

٨- (معرفة) جمع (القرآن):

يذكر الطبرى الأخبار التى وردت فى ذلك(١)، والتى من خلالها يبين متى جمع القرآن؟ وسبب جمعه؟ وكيف جمع؟ فيذكر أن القرآن جمع ثلاث مرات، جمع فى عهد

---

(١) راجع الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٥٩ وما بعدها، "حيث أورد الأخبار من رقم ٥ إلى ٦٤ وحيث يقول: حدثنا أحمد بن عبده الضبى قال حدثنا عبد العزيز بن محمد الدراوردى عن عمارة بن غزية عن ابن شهاب عن خارجة بن زيد بن ثابت عن أبيه زيد، قال: لما قتل أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة دخل عمر بن الخطاب على أبى بكر رحمه الله فقال: إن أصحاب رسول الله ﷺ باليمامة تهافتوا تهافت الفراش فى النار وإنى أخشى أن لا يشهدوا موطناً إلا فعلوا ذلك حتى يقتلوا وهم حملة القرآن، فيضيع القرآن وينسى فلو جمعته وكتبته فنفر منها أبو بكر وقال: أفعل ما لم يفعل رسول الله ﷺ فتراجعا فى ذلك. ثم أرسل أبو بكر إلى زيد بن ثابت، قال زيد: فدخلت عليه وعمر مجزنل، فقال أبو بكر: إن هذا قد دعانى إلى أمر فأبيت عليه وأنت كاتب الوحى، فإن تكن معه اتبعتكما، وإن توافقنى لا أفعل، قال فاقتص أبو بكر قول عمر، وعمر ساكت فنفرت من ذلك وقلت نفعل ما لم يفعل رسوا الله ﷺ! إلى أن قال عمر كلمة: "وما عليكما لو فعلتمنا ذلك؟" قال: فذهبنا ننظر، فقلت: لا شئ والله! ما علينا فى ذلك شرع! قال زيد: فأمرنى أبو بكر فكتبته فى قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب. فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتاب ذلك فى صحيفة واحدة فكانت عنده فلما هلك كانت الصحيفة عند حفصة زوج النبى ﷺ. ثم إن حذيفة ابن اليمان قدم من غزوة كان غزاها يمرج أرمينية فلم يدخل بيته حتى أتى عثمان بن عفان ﷺ فقال: يا أمير المؤمنين: أدرك الناس! فقال عثمان: وما ذاك؟ قال غزوت مرج أرمينية فحضرها أهل العراق وأهل الشام فإذا أهل الشام يقرءون بقراءة ابى بن كعب فيأتون بما لم يسمع أهل العراق فتكفرهم أهل العراق، وإذا أهل العراق يقرءون بقراءة ابن مسعود فيأتون بما لم يسمع أهل الشام فتكرهم أهل الشام، قال زيد: فأمرنى عثمان أكتب لهم مصحفا، وقال إنى مدخل معك رجلا لبيبا فصيحا فما اجتمعنا عليه فاكتباه،اختلفنا فيه فأرفعاه إلىّ، فجعل معه أبان ابن سعيد بن العاص، قال: فلما بلغنا "إن آية ملكه أن يأتيكم التابوت" قال زيد فعلت: "التبوه" وقال أبان ابن سعيد: "التابوت" فرفعنا ذلك إلى عثمان فكتب: "التابوت" قال: فلما فرغت عرضته عرضة فلم أجد فيه هذه الآية: ﴿ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ ۖ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴾ قال فاستعرضت المهاجرين أسالهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم، ثم استعرضت الأنصار أسالهم عنها، فلم أجدها عند أحد منهم حتى وجدتها عند خزيمة بن ثابت فكتبتها ثم عرضته عرضة أخرى فلم أجد هاتين الأيتين: ﴿ لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾ فَإِن تَوَلَّوْا۟ فَقُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ ۖ وَهُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ﴾، فاستعرضت المهاجرين، فلم أجدها عند أحد منهم ثم استعرضت الأنصار أسالهم عنها فلم أجدها عند أحد منهم حتى وجدتها مع رجل يدعى خزيمة أيضا،فاثبتها فى آخر براءة ولو تمت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، ثم عرضته عرضة أخرى، فلم أجد فيه شيئا، ثم أرسل عثمان إلى حفصة يسألها أن تعطيه الصحيفة وحلف لها ليردها إليها فأعطته إياها، فعرض المصحف عليها فلم يختلفا فى شئ فردها إليها،وطابت نفسه، وأمر الناس أن يكتبوا مصاحف، فلما ماتت حفصة أرسل إلى عبد الله بن عمر فى الصحيفة عزما فأعطاهم إياها فغسلت غسلاً الخبر رقم ٥٩.

أبى بكر فى قطع الأدم وكسر الأكتاف والعسب وذلك عندما أشار عليه عمر بن الخطاب ﷺ لاشتداد القتل بأصحاب رسول الله ﷺ، وجمع فى عهد عمر بن الخطاب ﷺ فى صحيفة واحدة حفظت بعد موت عمر ﷺ عند حفصة زوج الرسول ﷺ وجمع فى عهد عثمان بن عفان ﷺ عندما أشار عليه حذيفة بن اليمان بسبب الخلاف الذى وقع بين أهل العراق وأهل الشام فى غزو مرج أرمينية، وأن أمير المؤمنين عثمان ﷺ جمع المسلمين على مصحف واحد وحرف واحد، وخرق ماعدا المصحف الذى جمعهم عليه فاستوسقت له الأمة على ذلك بالطاعة(١)، وهذا الخبر اطمأن إليه المحدثون وحرصوا على الاستناد إليهَ عند الحديث عن جمع القرآن(٢).

٩- أسماء القرآن وسوره وآيه:

بين الطبرى القول فى تأويل أسماء القرآن سوره وآيه حيث عد أسماء القرآن أربعة أسماء سماه الله بها فقد قال سبحانه: ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَقُصُّ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَكْثَرَ ٱلَّذِى هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾(٣)

فهو القرآن وقال سبحانه: ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٤)، فهو الفرقان، وقال سبحانه ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴾(٥)، فهو الكتاب، وقال سبحانه ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ﴾(٦)، فهو الذكر. والطبرى يوضح أن لكل اسم من أسمائه الأربعة فى كلام العرب معنى ووجهاً غير معنى الآخر ووجهه، وهو دائماً يرجح قولاً على قول فيقول فى معنى القرآن: الواجب أن يكون تأويله على قول ابن عباس(٧): من

(١) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٦٤.
(٢) د/ عبد الله خورشيد البرى: القرآن وعلومه فى مصر ص٧٢ طبعة دار المعارف سنة ١٣٧٥هـ.
(٣) سورة النمل: آية ٧٦.
(٤) سورة الفرقان: آية ١.
(٥) سورة الكهف: آية ١.
(٦) سورة الحجر: آية ٩.
(٧) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٩٥.

التلاوة والقراءة أي إذا قرأ عليك فاتبع ما فيه، أو أن يكون على قول قتادة[1]، فالواجب أن يكون مصدراً، من قول القائل: قرأت الشئ إذا جمعته وضممت بعضه إلى بعض كقولك: "ما قرأت هذه الناقة سلى قط"، تريد بذلك أنها لم تضمم رحماً على ولد، كما أنه يستشهد أيضاً بالشعر فيقول: كما قال عمرو بن كلثوم التغلبي:

تريك- إذا دخلت على خلاء ... وقد أمنت عيون الكاشحينا

ذراعي عيطل، أدماء، بكر ... هجان اللون، لم تقرأ جنينا[2]

فرأى قتادة أن تأويل القرآن : التأليف، والطبري يرجح القولين إلا أنه يرجح قول ابن عباس لقوله تعالى:

﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴿١٧﴾ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ (٣)

على قول قتادة وهو التلاوة والقراءة وهو لا يترك الأمر هكذا بل يتساءل وكيف يجوز أن يسمى "قرآنا" بمعنى القراءة، وإنما هو مقروء؟ ويجيب: كما جاز أن يسمى المكتوب كتاباً، بمعنى: كتاب الكاتب كما قال الشاعر في صفة كتاب الطلاق الذي كتبه لامرأته:

تؤمل رجعة مني وفيها ... كتاب مثل ما لصق الغراء

يريد: طلاقاً مكتوباً، فجعل المكتوب كتاباً، ثم انتقل إلى تفسير معنى الفرقان وكعادته يورد أخباراً عن عكرمة الذي كان يبين معنى الفرقان بأنه النجاة ويبينه ابن عباس بأنه: المخرج، ومجاهد كان يقول عن يوم الفرقان يوم فرق الله فيه بين الحق والباطل.

وهذه التأويلات كلها متقاربة المعاني وأصل الفرقان عندنا: الفرق بين الشيئين والفصل بينهما، وقد يكون ذلك بقضاء واستنقاذ وإظهار حجة ونصر وغير ذلك من المعاني

---

(١) الطبري: المصدر نفسه ج١ ص٩٦.
(٢) الطبري: المصدر نفسه ج١ ص٩٦.
(٣) القيامة : الآية ١٧.

المفرقة بين المحق والمبطل فقد تبين بذلك أن القرآن سمى "فرقاناً" لفصله بين المحق والمبطل وفرقانه بينهما بنصرة المحق وتخذيله المبطل(١).

وأما تأويل اسمه الذى هو كتاب: فهو مصدر من قولك كتب كتاباً تقول: قمت قياماً، وحسبت الشئ حساباً، وسمى كتاباً وإنما هو مكتوب(٢).

وأما تأويل اسمه "ذكر" فإنه محتمل معنيين: أحدهما: أنه ذكر من الله ﷻ ذكر به عباده فعرفهم فيه حدوده وفرائضه والآخر أنه ذكر وشرف وفخر لمن آمن به وصدق بما فيه

أما أسماء سور القرآن فقد سماها رسول الله ﷺ ذكرها الطبرى فى الأحاديث(٣) التى رويت عن رسول الله ﷺ والتى أجمعت على أن رسول الله ﷺ حدد أسماء سور القرآن فقال: أعطانى ربى مكان التوراة السبع الطول، ومكان الإنجيل المثانى، ومكان الزبور المئين وفضلنى ربى بالمفصل والطبرى يحدد معانى تلك الأقسام وما شمله كل قسم منها فيقول والسبع الطوال: البقرة، آل عمران، النساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف ويونس وسميت السبع الطوال لطولها على سائر سور القرآن(٤).

وأما المئون فهى ما كان من سور القرآن عدد آية مئة آية، أو تزيد عليها أو تنقص منها شيئاً يسيراً(٥).

وأما المثانى: فإنها ما ثنى المئين فتلاها، وكان المئون لها أوائل وكان المثانى لها ثوانى. وقد قيل: إن المثانى سميت مثانى: لتثنية الله ﷻ فيها الأمثال والخبر والعبر، ولقد عدد الطبرى فيما جاء فى تأويل المثانى حيث قال وسنذكر أسماء قائلى ذلك وعللهم والصواب من القول فيما اختلفوا فيه من ذلك إذا انتهينا إلى تأويل قوله تعالى :

---

(١) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٩٨.
(٢) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص٩٩.
(٣) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص١٠٠.
(٤) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص١٠٣.
(٥) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص١٠٣.

﴿.... وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى.... ﴾(١)

كذلك نراه أورد الأخبار المروية عن رسول الله ﷺ والمؤيدة لذلك كما روى لنا الأشعار التى تؤيد ذلك، وأما المفصل: فإنها سميت مفصلاً لكثرة الفصول التى بين سورها بـ ﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾(٢)، وهو يبين لنا معنى كلمة سورة بغير همز: بالمنزلة من منازل الارتفاع ويستشهد على ذلك من الشعر، أما معناها عند من همز: القطعة التى قد أفضلت من القرآن عما سواها وأبقيت.

كما أورد معنى الآية على احتمالين: أحدهما: أن تكون سميت آية لأنها علامة يعرف بها تمام ما قبلها وابتداؤها، والآخر منهما: القصة كما قال كعب بن زهير:

ألا أبلغا هذا المعرض آية أيقظان قال القول إذا قال أم حلم

يعنى بقوله آية: رسالة منى وخبراً عنى، فيكون معنى الآيات القصص قصة تتلو قصة، بفصول ووصول(٣).

هذا ما وضحه لنا الطبرى من علوم القرآن فى مقدمة تفسيره الذى يعتمد فيه على المنقول، تلك العلوم التى يمكن أن نجملها فيما يلى:

١- معرفة المحكم والمتشابه.

٢- معرفة حلاله وحرامه.

٣- معرفة عامه وخاصه.

٤- معرفة مجمله ومفسره.

٥- معرفة ناسخه ومنسوخه.

---

(١) سورة الحجر: آية ٨٧.
(٢) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص١٠٤.
(٣) الطبرى: المصدر نفسه ج١ ص ١٠٦.

٦- معرفة ظاهره وباطنه.

٧- معرفة تأويل آية وتفسير مشكله.

٨- معرفة أن القرآن عربى.

٩- معرفة أن ليس فى القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب.

١٠- معرفة اللغة التى نزل بها من لغات العرب.

١١- معرفة وجوه مطالب تأويل القرآن.

١٢- النهى عن القول فى تأويل القرآن بالرأى.

١٣- الحض على العلم بتفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة.

١٤- معرفة من كان من قدماء المفسرين محموداً علمه بالتفسير ومن كان منهم مذموماً علمه به.

١٥- معرفة جمع القرآن.

١٦- معرفة أسماء القرآن وسوره وآيه.

(٢)

ثم إذا تجاوزنا القرن الخامس الهجرى لنلتقى فى أوائل القرن السادس الهجرى بعالم جليل وهو أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشرى الخوارزمى المتوفى سنة ٥٣٨هـ فى تفسيره الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل فى وجوه التأويل، وهو خير مثال لإظهار ذوق المعتزلة البلاغى،وخصوبتهم الفكرية، نجده يتحدث فى مقدمة تفسيره عن صعوبة علم التفسير، وتفاوت العلماء فى إدراك أسراره والتقاط دره وتتبع نكته ويشير إلى الشروط التى يجب توافرها فيمن يقدم على التفسير ولابد أن يكون بارعاً فى علمين مختصين بالقرآن وهما علم المعانى وعلم البيان، إذ يقول: "ثم إن أملأ العلوم بما يغمر القرائح، وأنهضها بما يبهر الألباب القوارح"(١).

(١) القوارح: التى اكتملت.

من غرائب نكت يلطف مسلكها، ومستودعات أسرار يدق سلكها، علم التفسير الذى لا يتم لتعاطيه وإجالة النظر فيه كل ذى علم، كما ذكر الجاحظ فى كتاب "نظم القرآن" فالفقيه وإن برز على القرآن فى علم الفتاوى والأحكام والمتكلم وإن بز أهل الدنيا فى صناعة الكلام وحافظ القصص والأخبار وإن كان من ابن القرية أحفظ، والواعظ وإن كان من الحسن البصرى أوعظ، والنحوى وإن كان أنحى من سيبويه واللغوى وإن علك[1] اللغات بقوة لحييه، لا يتصدى منهم أحد لسلوك تلك الطرائق، ولا يغوص على شئ من تلك الحقائق، إلا رجل قد برع فى علمين مختصين بالقرآن، وهما علم المعانى وعلم البيان، وتمهل فى ارتيادهما آونة، وتعب فى التنقير عنهما أزمنة،وبعثته على تتبع مظانها همة فى معرفة لطائف حجة الله،وحرص على استيضاح معجزة رسول الله ﷺ بعد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ جامعاً بين أمرين تحقيق وحفظ، كثير المطالعات، طويل المراجعات قد رجع زماناً ورجع إليه، وَرَّد وَرُدَّ عليه، فارساً فى علم الإعراب، مقدماً فى جملة الكتاب وكان مع ذلك مسترسل الطبيعة منقادها، مشتعل القريحة وقادها يقظان النفس، دراكاً للمحة وإن لطف شأنها، منتبهاً على الرمزة وإن خفى مكانها، لاكزاً جاسياً[2].

ولا غليظاً جافياً متصرفاً ذا دربة بأساليب النظم والنثر، مرتاضاً غير ريض بتلقيح بنات الفكر، قد علم كيف يرتب الكلام ويؤلف، وكيف ينظم ويرصف طالما دفع إلى مضايقة، ووقع فى مداحضه[3] ومزالقه[4].

وبهذا وضع لنا الزمخشرى أسس الثقافة الواجب توافرها فى المفسر وركز على الثقافة اللغوية وخاصة المعرفة التامة بالبلاغة العربية،ولذلك نبه إلى أن علم التفسير ليس

---

(١) علك: مضغ.
(٢) كز اجلسيا: شحيحا قليل المواتاة غليظ الطبع.
(٣) المداحض: أماكن الزلل، والمراد أن يكون للشخص سابق علم بهذه المزالق فلا يقع فيها لعلمه بها.
(٤) الزمخشرى: الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل ج١ ص٢ وما بعدها.

بالأمر الهين الذى يقدم عليه كل من يكون لديه إلمام ببعض العلوم التى يظنها تؤهله لأن يقتحم هذا الميدان من غير تسلم، فالفقيه مهما بلغ فى فتاويه وأحكامه والمتكلم وحافظ القصص،والواعظ، والنحوى وإن كان أنحى من سيبويه واللغوى وإن كان ماهراً فى اللغات لا يتصدى للتفسير إلا إذا كان بارعاً فى علم المعانى وعلم البيان، وهو لا يسلم بذلك بل يشترط فى المفسر البارع فى هذين العلمين شروطاً إذ لا يكفى براعته فى هذين العلمين بل لابد أن يكون آخذاً من سائر العلوم بحظ، كثير المطالعات طويل المراجعات فارساً فى علم الإعراب، ذا دربة بأساليب النظم والنثر، إلى غير ذلك من الشروط التى بينها ووضحها فى مقدمة تفسيره والتى منها يتضح الفكر المعتزلى.

(٣)

وإذا انتقلنا إلى القرن السابع الهجرى نلتقى بمنهج آخر فى التفسير هو المنهج الفقهى متمثلاً فى كتاب: الجامع لأحكام القرآن لأبى عبد الله محمد بن أحمد الأنصارى القرطبى المتوفى سنة ٦٧١هـ الذى نراه قد بين فى مقدمة تفسيره منهجه فى معالجته لعلوم القرآن، حيث يقول: فلما كان كتاب الله هو الكفيل بجميع علوم الشرع الذى استقل بالسنة والفرض، ونزل به أمين السماء إلى أمين الأرض رأيت أن أشتغل به مدى عمرى وأستفرغ فيه منتى بأن أكتب فيه تعليقاً وجيزاً، يتضمن نكتاً من التفسير واللغات والإعراب والقراءات والرد على أهل الزيغ والضلالات وأحاديث كثيرة شاهدة لما نذكره من الأحكام ونزول الآيات جامعاً بين معانيهما، ومبيناً ما أشكل منهما بأقاويل السلف ومن تبعهم من الخلف[١]، ثم بعد أن بين منهجه فى التفسير وضع بين أيدينا مقدمة قسمها

(١) الإمام أبى عبد الله محمد بن أحمد القرطبى: الجامع لأحكام القرآن: ج١ ص٢، ٣ طبعة الهيئة المصرية العامة للكتاب.

أبواباً وفصولاً جمع فيها من العلوم والمعارف التي تعين المفسر على فهم النص القرآني تلك العلوم والمعارف اصطلحنا أن نقسمها قسمين:

القسم الأول: علوم تتعلق بالنص القرآني:

١- (معرفة) معنى قول النبي ﷺ: إن هذا القرآن أنزل على سبعة أحرف فاقرؤوا ما تيسر منه(١):

يعالج القرطبي في هذا الجانب اختلاف العلماء حول معنى حديث رسول الله ﷺ حيث يقول: وقد اختلف العلماء في المراد بالأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ذكرها أبو حاتم محمد بن حبان البستي، نذكر منها في هذا الكتاب خمسة أقوال:

الأول: وهو الذي عليه أكثر أهل العلم: أن المراد سبعة أوجه المعاني المتقاربة بألفاظ مختلفة،نحو اقبل وتعال وهلم، ولقد أورد ما جاء في البخاري ومسلم من قول الزهري: إنما هذه الأحرف في الأمر الواحد ليس يختلف في حلال ولا حرام. وما علل به الطحاوي من أن السعة كانت للناس في الحروف لعجزهم عن أخذ القرآن على غير لغاتهم، فوسع لهم في اختلاف الألفاظ إذ كان المعنى متفقاً، وليست تلك الحروف على الإطلاق لقول ابن عبد البر: فبان بهذا أن تلك السبعة الأحرف إنما

(١) راجع القرطبي: المصدر نفسه ج١ ص٤١ نص الحديث: روى مسلم عن أبي بن كعب: أن النبي ﷺ كان عند إضاة بني غفار، فأتاه جبريل عليه السلام فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف، فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك. ثم أتاه الثانية فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك على حرفين، فقال: اسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الثالثة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف، فقال اسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك، ثم جاءه الرابعة فقال: إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا.
وروى الترمذي عنه قال: لقي رسول الله ﷺ جبريل عليه السلام فقال: يا جبريل إني بعثت إلى أمة أمية منهم العجوز والشيخ الكبير والغلام والجارية والرجل الذي لا يقرأ كتابا قط فقال لي يا محمد إن القرآن أنزل على سبعة أحرف.

كان في وقت خاص لضرورة دعت إلى ذلك ثم ارتفعت تلك الضرورة فارتفع حكم هذه السبعة الأحرف، وعاد ما يقرأ به القرآن على حرف واحد(١).

الثاني: أنها سبع لغات في القرآن على لغات العرب كلها، فبعضه بلغة قريش وبعضه بلغة هذيل، وبعضه بلغة هوازن وبعضه بلغة اليمن، وإلى هذا القول ذهب أبو عبيد القاسم بن سلام واختاره ابن عطية.

الثالث: أن هذه اللغات السبع إنما تكون في مضر، قاله قوم واحتجوا بقول عثمان: نزل القرآن بلغة مضر، وقالوا: جائز أن يكون منها لقريش ومنها لكنانة، ومنها لأسد ومنها لهذيل، ومنها لتميم، ومنها لضبة ومنها لقيس. قالوا: هذه قبائل مضر تستوعب سبع لغات على هذه المراتب.

الرابع: أنها اختلاف في القراءة: فمنها ما تتغير حركته ولا يزول معناه ولا صورته، مثل ﴿ هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ ﴾(٢) وأطهر. ومنها مالا تتغير صورته ويتغير معناه بالإعراب مثل:﴿ رَبَّنَا بَٰعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا ﴾ (٣) وباعد ومنها ما تبقى صورته ويتغير معناه باختلاف الحروف مثل ننشزها وننشرها، ومنها ما تتغير صورته، ويبقى معناه

﴿ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴾ (٤) وكالصوف المنفوش ومنها ما تتغير صورته ومعناه ﴿ وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴾(٥) وطلع. ومنها بالتقديم والتأخير كقوله ﴿وَجَآءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ....﴾ (٦)

---

(١) القرطبي: المصدر نفسه ج١ ص٤٣.
(٢) سورة هود : من الآية ٧٨.
(٣) سورة سبأ : من الآية ١٩.
(٤) سورة القارعة : من الآية ٥.
(٥) سورة الواقعة : الآية ٢٩.
(٦) سورة ق : من الآية ١٩.

وجاء سكرة الحق بالموت. ومنها بالزيادة والنقصان مثل قوله:

﴿.... تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً.... ﴾(١)(٢)

الخامس: أن المراد بالأحرف السبعة معانى كتاب الله تعالى ﷻ،وهى أمر ونهى ووعد ووعيد وقصص ومجادلة وأمثال. قال ابن عطية: وهذا ضعيف لأن هذا لا يسمى أحرفاً، وقد قيل: إن المراد بقوله ﷺ: "أنزل القرآن على سبعة أحرف" القراءات السبع التى قرأ بها القراء السبعة. لأنها كلها صحت عن رسول الله ﷺ، وهذا ليس بشئ لظهر بطلانه(٣)، فلقد نفى العلماء ذلك: فليست هذه الأحرف السبع التى تنسب لهؤلاء القراء السبعة هى الأحرف السبعة التى اتسعت الصحابة فى القراءة بها وإنما هى راجعة إلى حرف واحد من تلك السبعة وهو الذى جمع عليه عثمان المصاحف(٤) وهذه القراءات المشهورة هى اختيارات أولئك الأئمة.

٢- (معرفة) هل ورد فى القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب:

يؤكد القرطبى أنه لا خلاف بين الأئمة فى أنه ليس فى القرآن كلام مركب أى مبنى على أساليب غير العرب،وهو يرى أن فيه أسماء أعلام لمن لسانه غير لسان العرب كإسرائيل وجبريل وعمران ونوح ولوط، وقد ذكر أقوال العلماء فى ذلك واختلافهم فيه حيث يقول: واختلفوا هل وقع فيه ألفاظ غير أعلام مفردة من ذلك لا يوجد فيه، وأن القرآن عربى صريح، وما وجد فيه من الألفاظ التى تنسب إلى سائر اللغات إنما اتفق فيها أن تواردت اللغات عليها فتكلمت بها العرب والفرس والحبشة وغيرهم،وذهب بعضهم إلى وجودها فيه

(١) سورة ص : من الآية ٢٣.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٤٦.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٤٦.
(٤) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٤٦.

وأن تلك الألفاظ لقلتها لا تخرج القرآن عن كونه عربياً مبيناً ولا رسول الله ﷺ عن كونه متكلماً بلسان قومه(١).

كما يذكر قول ابن عطية من أن: حقيقة العبارة عن هذه الألفاظ أنها فى الأصل أعجمية لكن استعملتها العرب وعربتها فهى عربية بهذا الوجه(٢).

والقرطبى لم يقطع بقول فى هذا المضمار سوى أنه رجح قول أبى عبيدة من أن العرب لا يخلو أن تكون تخاطبت بها أولاً، ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم(٣).

وهو يرى أنه إن لم تكن العرب تخاطبت بها ولا عرفتها استحال أن يخاطبهم الله بما لا يعرفون وحينئذ لا يكون القرآن عربياً مبيناً، ولا يكون مخاطباً لقومه بلسانهم.

٣- (معرفة) جمع القرآن وسبب كتب عثمان المصاحب وإحراقه ما سواها:

ذكر القرطبى أن القرآن كان فى مدة النبى ﷺ متفرقاً فى صدور الرجال، وقد كتب الناس منه فى صحف وفى جريد وفى لخاف وظرر(٤)

فلما استحر القتل بالقراء يوم اليمامة فى زمن الصديق ﷺ وقتل منهم فى ذلك اليوم فيما قيل سبعمائة أشار عمر بن الخطاب على أن أبى بكر الصديق ﷺ جمع القرآن مخافة أن يموت أشياخ القراء كأبى وابن مسعود وزيد، فندبا زيد بن ثابت إلى ذلك فجمعه غير مرتب السور بعد تعب شديد فكانت الصحف التى جمع فيها القرآن عند أبى بكر حتى وفاته ثم عند عمر حتى توفاه الله ثم عند حفصه بنت عمر. ثم جمع فى عهد عثمان.

---

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٨.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٨.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٩.
(٤) اللخاف: حجارة بيض رقاق، واحدتها لحفة، والظرر: حجر له حد كحد السكين والجمع ظرار، راجع القرطبى المصدر نفسه ج١ ص٤٩.

يقول القرطبى: فما وجه جمع عثمان الناس على مصحفه، وقد سبقه أبو بكر إلى ذلك وفرغ منه؟ قيل: إن عثمان ﷺ لم يقصد بما صنع جمع الناس على تأليف المصحف،وإنما فعل ذلك عثمان ﷺ لأن الناس اختلفوا فى القراءات بسبب تفرق الصحابة فى البلدان وعظم اختلافهم،وما وقع بين أهل العراق والشام مما ذكره حذيفة ﷺ فأمر عثمان زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث ابن هشام فنسخوا الصحف التى كانت عند حفصة والتى جمعت فى عهد أبى بكر حتى إذا نسخوا الصحف فى المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا، وأمر بما سوى ذلك من القرآن فى كل صحيفة أو مصحف أن يحرق(١).

٤- (معرفة) ترتيب سور القرآن وآياته وشكله ونقطه وتحزيبه وتعشيره وعدد حروفه وأجزائه وكلماته وآية:

أ - ترتيب سور القرآن وآياته:

ذكر القرطبى أقوال العلماء فى هذا المضمار حيث يقول: قال ابن الطيب: إن قال قائل: قد اختلف السلف فى ترتيب سور القرآن فمنهم من كتب فى مصحفه السور على تاريخ نزولها وقدم المكى على المدنى ومنهم من جعل فى أول مصحفه الحمد، ومنهم من جعل فى أوله:﴿ اَقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ ﴾(٢).

وهذا أول مصحف على ﷺ، وأما مصحف ابن مسعود فإنه أوله: الحمد لله، ثم النساء، ثم آل عمران ثم الأنعام، ثم الأعراف ثم المائدة(٣).

---

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٥٢.
(٢) سورة العلق : الآية ١ .
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٥٩.

كما ذكر ما جاء من اختلاف العلماء حول ترتيب سور القرآن فبين قائل إنه كان من اجتهاد الصحابة وهو ما ذهب إليه القاضى أبو بكر بن الطيب وبين قائل بأن ترتيب الآيات فى السور ووضع البسملة فى الأوائل وترتيب السور هو من النبى ﷺ، كما ذكر ما قاله قوم من أهل العلم من: أن تأليف سور القرآن على ما هو عليه الآن كان بتوقيف من النبى ﷺ، وهو يؤكد أن ما روى عن اختلاف مصحف أبى وعلى وعبد الله فإنما كان قبل العرض الأخير، وأن رسول الله ﷺ رتب لهم تأليف السور بعد أن لم يكن فعل ذلك(١)

كما ذكر قول ابن الأنبارى من أن جبريل كان يوقف رسول الله ﷺ على موضع السورة والآية، وقد كان ﷺ يقول: ضعوا هذه السورة موضع كذا وكذا من القرآن، وكان جبريل عليه السلام يقفه على مكان الآيات(٢).

يقول القرطبى: ومما يدل على أنه لا يجب إثباته فى المصاحف على تاريخ نزوله ما صح وثبت أن الآيات كانت تنزل بالمدينة فتوضع فى السورة المكية ألا ترى قول عائشة رضى الله عنها: وما نزلت سورة البقرة والنساء وأنا عنده- تعنى بالمدينة- وقد قدمتا فى المصحف على ما نزل قبلهما من القرآن بمكة،ولو ألفوه على تاريخ النزول لوجب أن ينتقض ترتيب آيات السور(٣).

ب- المكى والمدنى:

أورد القرطبى سبب تقديم المدنى على المكى، فذكر قول أبى بكر بن الأنبارى عن ما نزل بالمدينة وما نزل بمكة،وهو يعلل تقديم المدنى على المكى هو أن الله تعالى خاطب العرب بلغتها وما يعرف من أفانين خطابها ومحاورتها، فلما كان فن "من كلامهم مبنياً على تقديم المؤخر وتأخير المقدم خوطبوا بهذا المعنى فى كتاب الله"(٤).

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٠.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٠.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦١.
(٤) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٢.

جـ- شكل القرآن ونقطه:

أسند القرطبى ذلك إلى الحجاج بن يوسف بأمر من عبد الملك بن مروان، كما ذكر أن الزبيدى اسند هذا العمل إلى أبى الأسود الدؤلى(١).

وهو يذكر أن الدانى ذكر أن التعشير والتخميس وفواتح السور ورؤوس الآى من عمل الصحابة ﷺ، قادهم إلى عمله الاجتهاد.

د - أما عدد حروفه وأحزابه:

فقد روى أن الحجاج بن يوسف جمع القراء والحفاظ والكتاب، فقال أخبرونى عن القرآن كله كم من حرف هو؟

وبذلك أجمعوا على أن القرآن ثلثمائة ألف وأربعون ألف حرف وسبعمائة حرف وأربعون حرفاً (٣٤٠٧٤٠) وبذلك عددوا أحزابه وأجزائه وأرباعه التى أوضحها القرطبى كما ذكر القرطبى عدد آى القرآن فى المدنى والمكى وعد البصريين والكوفيين، كما ذكر عدد كلمات القرآن وحروفه.

وهو استقصاء لا بأس به عند القرطبى(٢).

٥- (معرفة) إعراب القرآن وتعليمه والحث عليه وثواب من قرأ القرآن معرباً:

ذكر القرطبى فى هذا الجانب فضل إعراب القرآن حيث ذكر حديث رسول الله ﷺ: "أعربوا القرآن والتمسوا غرائبه"(٣).

كما ذكر ما ورد فى هذا الجانب ممن رووا بطرق أخرى، وما جاء فى ذلك من أقوال العلماء، من ذلك ما قاله ابن أبى مليكة، وابن عطية حيث يقول: إعراب القرآن أصل فى

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٣.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٥.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٣.

الشريعة لأن بذلك تقوم معانيه التى هى الشرع(١)، وما قاله ابن الأنبارى وما قاله ابن عباس: إذا سألتمونى عن غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فإن الشعر ديوان العرب(٢).

وقد ذكر القرطبى أمثلة من الشعر تؤيد ذلك(٣).

٦- تبين الكتاب بالسنة:

يستند القرطبى فى ذلك على حديث رسول الله ﷺ حيث يقول: "ألا وإنى قد أوتيت الكتاب ومثله معه"(٤).

ويذكر تأويل الخطابى لهذا الحديث حيث يقول: قال الخطابى قوله "أوتيت الكتاب ومثله معه" يحتمل وجهين من التأويل: أحدهما أن معناه أوتى من الوحى الباطن غير المتلو مثل ما أعطى من الظاهر المتلو الثانى: أنه أوتى الكتاب وحياً يتلى، وأوتى من البيان مثله أى أذن له أن يبين ما فى الكتاب فيعم ويخص ويزيد عليه ويشرع ما فى الكتاب، فيكون فى وجوب العمل به ولزوم قبوله كالظاهر المتلو من القرآن(٥).

ثم يوضح أن البيان منه ﷺ على ضربين: بيان لمجمل فى الكتاب كبيانه للصلوات الخمس فى مواقيتها وسجودها وركوعها وسائر أحكامها، وكبيانه لمقدار الزكاة ووقتها وما إلى ذلك وهو يوضح قوله ﷺ "خذوا عنى مناسككم" وقال "صلوا كما رأيتمونى أصلى"، كما أورد قول أحمد بن حنبل: إن السنة تفسر الكتاب وتبينه(٦).

---

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٤.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٤.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٥.
(٤) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣٧.
(٥) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣٨.
(٦) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣٩.

٧- (معرفة) ما جاء من الوعيد فى تفسير القرآن بالرأى والجرأة على ذلك ومراتب المفسرين

ذكر القرطبى أن الرسول ﷺ كان لا يفسر من كتاب الله إلا آيا بعدد علمه إياهن جبريل(١)

ثم ذكر أقوال العلماء حول معنى هذا الحديث: فابن عطية: حدد معنى هذا الحديث فى مغيبات القرآن، وتفسير مجمله ونحو هذا. وما رواه الترمذى عن ابن عباس من أن: "من قال فى القرآن برأيه فليتبوأ مقعده فى النار"(٢).

وما روى عن جندب قال: قال رسول الله ﷺ: من قال فى القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ" ثم ذكر قول ابن الأنبارى فى تفسير حديث ابن عباس: أن من قال فى مشكل القرآن بما لا يعرف من مذهب الأوائل من الصحابة والتابعين فهو متعرض لسخط الله وأن من قال فى القرآن قولاً يعلم أن الحق غيره فليتبوأ مقعده من النار كما قال فى حديث جندب أن أهل العلم حملوا هذا الحديث على أن الرأى معنى به الهوى، من قال فى القرآن قولاً يوافق هواه، لم يأخذه عن أئمة السلف فأصاب فقد أخطأ، كما قال ابن عطية ومعنى هذا الحديث أن يسأل الرجل عن معنى فى كتاب الله ﷻ فيتسور عليه برأيه دون نظر فيما قال العلماء، واقتضته قوانين العلم كالنحو والأصول وليس يدخل فى هذا الحديث أن يفسر اللغويين لغته، والنحويين نحوه والفقهاء معانيه، ويقول كل واحد باجتهاده المبنى على قوانين علم ونظر، فإن القائل على هذه الصفة ليس قائلاً بمجرد رأيه(٣).

وقد ذكر القرطبى أن النهى يحمل على وجهين:

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣١.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣٢.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣٢.

١- أن يكون له في الشئ رأى، وإليه ميل من طبعه وهواه فيتأول القرآن على وفق رأيه وهواه، ليحتج على تصحيح غرضه، كالذى يحتج ببعض آيات القرآن على تصحيح بدعته، وهو يعلم أن ليس المراد بالآية ذلك، وتارة يكون له غرض صحيح فيطلب له دليلاً من القرآن يستدل عليه بما يعلم أنه ما أريد به، كما يدعو إلى مجاهدة القلب القاسى فيقول، قال الله تعالى﴿.... ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴾ (١) ويشير إلى قلبه ويومئ إلى أنه المراد بفرعون، وهذا الجنس قد يستعمله بعض الوعاظ فى المقاصد الصحيحة تحسيناً للكلام وترغيباً للمستمع، وهو ممنوع لأنه قياس فى اللغة، وذلك غير جائز (٢).

٢- أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية،من غير استظهار بالسماع والنقل فيما يتعلق بغرائب القرآن، وما فيه من الألفاظ المبهمة والمبدلة وما فيه من الاختصار والحذف والإضمار والتقديم والتأخير، فمن لم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه ومثال ذلك قوله تعالى:﴿.... وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ ٱلنَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا۟ بِهَا....﴾ (٣) معناه أية مبصرة فظلموا أنفسهم بقتلها، فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدرى بماذا ظلموا وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم فهذا من الحذف والإضمار (٤).

وبعد أن بين القرطبى معنى النهى حدد مراتب المفسرين حيث يقول فأما صدر المفسرين والمؤيد فيهم فعلى بن أبى طالب ﷺ ويتلوه عبد الله بن عباس، وكلما اخذ عن الصحابة فحسن مقدم لشهودهم التنزيل ونزوله بلغتهم (٥).

---

(١) سورة طه : من الآية ٢٤.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣٣.
(٣) سورة الإسراء : من الآية ٥٩.
(٤) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣٤.
(٥) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣٥.

ومن المبرزين التابعين الحسن البصرى ومجاهد وسعيد بن جبير وعلقمة قرأ مجاهد على ابن عباس قراءة تفهم وموقوف عند كل آية، ويتلوهم عكرمة والضحاك، ثم يحمل تفسير كتاب الله تعالى عدول كل خلف، كما قال ﷺ: يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين،وتأويل الجاهلين(١).

كما ذكر من ألف فيه كعبد الرازق والمفضل وعلى بن أبى طلحة والبخارى وغيرهم ثم إن محمد بن جرير- رحمه الله- جمع على الناس أشتات التفسير وقرب البعيد منها وشفى فى الإسناد، ومن المبرزين من المتأخرين أبو إسحاق الزجاج وأبو على الفارسى،وأما أبو بكر النقاش وأبو جعفر النحاس فكثيراً ما استدرك الناس عليهما، وعلى سنتهما مكى بن أبى طالب ﷺ، وأبو العباس المهدوى متقن التأليف(٢).

٨- (معرفة) معنى السورة والآية والحرف:

يبين القرطبى فى هذا الباب معنى السورة والآية والحرف فيقول معنى السورة فى كلام العرب الإبانة لها من سورة أخرى وانفصالها عنها، وسميت بذلك لأنه يرتفع فيها من منزلة إلى منزلة(٣).

وقيل سميت بذلك لشرفها وارتفاعها، وقيل: سميت بذلك لأنها قطعت من القرآن على حده، من قول العرب للبقية: سور، وقيل: سميت بذلك لتمامها وكمالها من قول العرب للناقة التامة: سورة، وجمع سورة سور بفتح الواو.

أما الآية فهى العلامة: بمعنى أنها علامة لانقطاع الكلام الذى قبلها من الذى بعدها وانفصالها، أى هى بائنة عن أختها ومنفردة. وقد أورد اختلاف النحويين فى أصل آية فقال

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣٦.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٣٧.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٥.

سيبويه: أييه على فعلة مثل أكمه وشجرة، فلما تحركت الياء وانفتح ما قبلها انقلبت ألفاً فصارت أية بهمزة بعدها مدة. إلى غير ذلك من أقوال النحاة(١).

أما الكلمة فهي الصورة القائمة بجميع ما يختلط بها من الشبهات أى الحروف،وأطول الكلم فى كتاب الله عز وجل ما بلغ عشرة أحرف مثل ليستخلفنهم وأقصرهن ما كان على حرفين مثل ما و لا ولك وله(٢).

أما الحرف فهو الشبهة القائمة وحدها من الكلمة،وقد يسمى الحرف كلمة والكلمة حرفاً على ما بيناه من الاتساع والمجاز.

٩- (معرفة) إعجاز القرآن وشرائط المعجزة وحقيقتها:

أورد القرطبى معنى المعجزة وشروطها وحقيقتها حيث يقول: المعجزة واحدة معجزات الأنبياء الدال على صدقهم صلوات الله عليهم، وسميت معجزة لأن البشر يعجزون عن الإتيان بمثلها وشرائطها خمسة، فان اختل منها شرط لا تكون معجزة(٣).

الشرط الأول: أن تكون مما لا يقدر عليها إلا الله سبحانه: كفلق البحر وانشقاق القمر وما شاكلها مما لا يقدر عليه البشر، وهذا إعجاز لمدعى النبوة.

الشرط الثانى: خرق العادة، فيقلب العصا ثعباناً، ويشق الحجر ويخرج من وسطه ناقة أو ينبع الماء من بين الأصابع كما ينبعه من العين، وغير ذلك من الآيات الخارقة.

وذلك دليل على صدقه، يقول القرطبى: إذا عمل الله عملاً لا يقدر عليه إلا هو وخرق به العادة على يدى الرسول، قام ذلك الفعل مقام كلامه تعالى لو أسمعناه وقال: صدق عبدى فى دعوى الرسالة، وأنا أرسلته إليكم فاسمعوا وأطيعوا(٤).

---

(١) راجع القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٦، "قال الكسائى: أصلها أيية على وزن فاعلة مثل أمنة فقلبت الياء ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها، ثم حذفت لالتباسها بالجمع، وقال الفراء: اصلها آيية بتشديد الياء الأولى فقلبت ألفا كراهة للتشديد فصارت أية وجمعها اى وآيات.

(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٧.

(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٦٩.

(٤) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٧٠.

الشرط الثالث: هو أن يستشهد بها مدعى الرسالة على الله ﷻ فيقول: آيتى أن يقلب الله سبحانه وتعالى هذا الماء زيتاً أو يحرك الأرض عند قولى لها: تزلزلى، فإذا فعل الله سبحانه ذلك حصل المتحدى به.

الشرط الرابع: هو أن تقع على وفق دعوى المتحدى بها المستشهد بكونها معجزة له.

الشرط الخامس: ألا يأتى أحد بمثل ما أتى به المتحدى على وجه المعارضة ولهذا قال سبحانه: ﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا صَٰدِقِينَ ﴾ (١) (٢).

ثم يبين أنواع المعجزات إذ يجعلها على ضربين:

١- ما اشتهر نقله وانقرض عصره بموت النبى ﷺ.

٢- ما تواترت الأخبار بصحته وحصوله، ومثال ذلك: القرآن نقله فى الأصل رسولان معصومان من الزيادة والنقصان، ونقله إلينا بعدهم أهل التواتر الذين لا يجوز عليهم الكذب فيما ينقلونه ويسمعونه لكثرة العدد، ولذلك وقع لنا العلم الضرورى بصدقهم فيما نقلوه من وجود محمد ﷺ ومن ظهور القرآن على يديه وتحديه به (٣).

وبعد أن بين القرطبى ماهية المعجزة وشروطها وأنواعها حدد لنا وجوه إعجاز القرآن الكريم وعدّها لنا عشرة أوجه منها:

١- النظم البديع المخالف لكل نظم معهود فى لسان العرب وفى غيرها، لأن نظمه ليس من نظم الشعر فى شئ.

٢- الأسلوب المخالف لجميع أساليب العرب.

٣- الجزالة التى لا تصح من مخلوق بحال،وتأمل ذلك فى سورة "ق" ﴿....وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْمَجِيدِ ﴾ (٤) إلى آخرها.

---

(١) سورة الطور : الآية ٣٤.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٧١.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٧٢.
(٤) سورة ق : الآية ١.

وقد أوضح أنه بهذا النظم والأسلوب والجزالة وقع التحدى والتعجيز وهو قول ابن الحصار(١):

٤- التصرف فى لسان العرب على وجه لا يستقل به عربى، حتى يقع منهم الاتفاق من جميعهم على فصاحته فى وضع كل كلمة وحرف فى موضعه.

٥- الإخبار عن الأمور التى تقدمت فى أول الدنيا إلى وقت نزوله من أمى ما كان يتلو من قبله من كتاب، ولا يخطه بيمينه، فجاءهم وهو أمى من أمة أمية ليس لها بذلك علم بما عرفوا من الكتب السالفة صحته، فتحققوا صدقه.

٦- الوفاء بالوعد، المدرك بالحسن فى العيان، فى كل ما وعد الله سبحانه وينقسم إلى أخباره المطلقة، كوعده بنصر رسوله عليه السلام، وإخراج الذين أخرجوه من وطنه وإلى وعد مقيد بشرط كقوله: ﴿... وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُۥٓ... ﴾(٢).

٧- الإخبار عن المغيبات فى المستقبل التى لا يطلع عليها إلا بالوحى ومنه إخبار الرسول ﷺ أنه سيظهر دينه على الأديان ومن إخباره أن الروم ستغلب فى قوله تعالى ﴿الٓمٓ ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝٢ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴾(٣)

٨- والإخبار بفتح مكة وما إلى ذلك من اخبار عن المغيبات فى المستقبل التى تدل على صدق نبينا ﷺ.

٩- ما تضمنه القرآن من العلم الذى هو قوام جميع الأنام، فى الحلال والحرام وفى سائر الأحكام.

١٠- الحكم البالغة التى لم تجر العادة بأن تصدر فى كثرتها وشرفها من آدمى.

---

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٧٣.
(٢) سورة الطلاق : الأية ٣ .
(٣) سورة الروم: الأيات ١-٣.

١١- التناسب في جميع ما تضمنه ظاهراً وباطناً من غير اختلاف.

وقد ذكر وجهاً آخر هو ما قاله النظام وبعض القدرية وهو: أن وجه الإعجاز هو المنع والصرفة، المنع من معارضته والصرفة عند التحدى بمثله وأن المنع والصرفة هو المعجزة دون ذات القرآن وذلك أن الله تعالى صرف هممهم عن معارضته مع تحديهم بأن يأتوا بسورة من مثله، يرفض القرطبى ما قاله النظام على إنه فاسد، لأن الذى عليه الجمهور بأن القرآن هو المعجز بنفسه ويعلل ذلك لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة، ويضرب لفصاحته الأمثلة إذ يقول: ومن فصاحته أن الله تعالى ذكر فى آية واحدة أمرين ونهيين وخبرين وبشارتين وهو قوله تعالى: ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ... ﴾ (١) الآية (٢) وكذا بلاغته فهو يقارن بين حديث رسول الله ﷺ، "فيها مالا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر" وبين قوله تعالى:

﴿.... وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ ﴾ (٣)

يقول القرطبى فقوله تعالى أعدل وزناً، وأحسن تركيباً، وأعذب لفظاً، وأقل حروفاً تلك كانت طبيعة القرآن التى قامت بها الحجة على العرب إذا كانوا أرباب الفصاحة وأصحاب البلاغة، كما قامت الحجة فى معجزة عيسى عليه السلام على الأطباء ومعجزة موسى عليه السلام على السحرة، فإن الله سبحانه إنما جعل معجزات الأنبياء عليهم السلام بالوجه الشهير أبرع ما يكون فى زمان النبى ﷺ الذى أراد إظهاره، فكان السحر فى زمان موسى عليه السلام قد انتهى إلى غايته، وكذلك الطب فى زمن عيسى عليه السلام، والفصاحة فى زمن محمد ﷺ (٤).

---

(١) سورة القصص: الآية ٧.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٧٦.
(٣) سورة الزخرف : الآية ٧١ .
(٤) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٧٧-٨٧.

القسم الثانى: معارف بينها القرطبى لثقافة حامل القرآن وقارئه ومفسره:

١- (معرفة) فضائل القرآن والترغيب فيه وفضل طالبه وقارئه ومستمعه والعامل به:

ويقصد القرطبى بهذا الترغيب فى القرآن الكريم، حيث ينص على أن هذا الباب واسع كبير، صنف فيه العلماء كتباً كثيرة، ويبين نكتاً تدل على فضل القرآن إذ يقول: فأول ذلك أن يستشعر المؤمن من فضل القرآن أنه كلام رب العالمين غير مخلوق، كلام من ليس كمثله شئ، وصفة من ليس له شبيه ولا ند، فهو من نور ذاته ﷻ(١).

ثم يوضح لنا الآثار التى جاءت فى هذا المضمار(٢).

التى تبين أن فضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه.

٢- (معرفة) الأحاديث التى وضعت فى فضل سور القرآن:

يرفض القرطبى تلك الأحاديث التى وضعت فى فضل سور القرآن حيث يقول: لا التفات لما وضعه الواضعون، واختلقه المختلقون، ومن الأحاديث الكاذبة التى حدثوا بها ليوقعوا الشك فى قلوب الناس وما دار فى خلدهم من هوى يدعون الناس إليه، ويذكر ما قاله شيخ من شيوخ الخوارج بعد إن تاب حيث يقول: إن هذه الأحاديث دين، فانظروا ممن تأخذون دينكم، فإنا كنا إذا هوينا أمراً صيرناه حديثاً وما وضعوه حسبة كل ذلك فى باب الترغيب والترهيب.

---

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٤.

(٢) راجع القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٤، ومن الآثار التى ذكرها فى فضل القرآن ما أخرجه الترمذى عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : "يقول الرب تبارك وتعالى من شغله القرآن وذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين- قال: وفضل كلام الله على سائر الكلام كفضل الله على خلقه".
وأسند عن الحارث عن على ﷺ وخرجه الترمذى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "ستكون فتن كقطع الليل المظلم قلت: يا رسول الله وما المخرج منها: قال: "كتاب الله تبارك وتعالى فيه نبأ من قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله هو حبل الله المتين ونوره المبين والذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم هو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا تتشعب معه الآراء ولا يشبع منه العلماء ولا يمله الأتقياء ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه هو الذى لم تنته الجن إذ سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآنا عجبا من علم علمه سبق ومن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن عمل به أجر ومن دعا به هدى إلى صراط مستقيم".

٣- (معرفة) ما جاء في حامل القرآن ومن هو وفيمن عاداه:

ذكر القرطبي فيما جاء في حامل القرآن حديث رسول الله ﷺ قال: من تعظيم جلال الله إكرام ثلاثة الإمام المقسط وذي الشيبة المسلم وحامل القرآن غير المغالي فيه ولا الجافي عنه(١).

أما من هم حملة القرآن فقد حدد القرطبي أنهم العالمون بأحكامه وحلاله وحرامه والعاملون بما فيه، أما فيمن عادى حملة القرآن فقد ذكر أن من عاداهم فقد استخف بحق الله تعالى.

٤- (معرفة) ما يلزم قارئ القرآن وحامله من تعظيم القرآن وحرمته:

ذكر القرطبي أن من حرمته كما نص عليه الترمذي في نوادر الأصول:

١- ألا يمسه إلا طاهراً وألا يقرأه إلا وهو على طهارة وأن يستاك ويتخلل فيطيب فاه، إذا هو طريقه.

٢- وأن يستعيذ بالله عند ابتدائه بالقراءة من الشيطان الرجيم.

٣- وألا يقطع قراءته ساعة بساعة بكلام الآدميين من غير ضرورة وأن يقرأه على تؤده وترسيل وترتيل.

٤- وأن يفهمه ويعقل ما يخاطب به.

٥- وأن يلتمس إعرابه.

٦- وألا يلتقط الآي من كل سورة فيقرأها.

٧- وألا يمحوه بالبصاق ولكن بغسله بالماء.

---

(١) القرطبي: المصدر نفسه ج١ ص٢٦.

٨- وألا يتأوله عندما يعرض له شئ من أمر الدنيا، والتأويل مثل قولك للرجل إذا جاءك جئت على قدر يا موسى.

٩- وألا يقال:سورة كذا، كقولك: سورة النحل وسورة البقرة ولكن يقال: السورة التى يذكر فيها كذا، والقرطبى يرى أن هذا القول ليس على إطلاقة لمعارضته لحديث رسول الله ﷺ: "الآيتان من آخر سورة البقرة من قرأ بهما فى ليلة كفتاه"(١).

١٠-وألا يقرأ بألحان الغناء،كألحان أهل الفسق، ولا بترجيع النصارى ولا نوح الرهبانية.

١١-ألا يقرأ فى الأسواق ولا فى مواطن اللغط واللغو ومجمع السفهاء.

١٢-ألا يصغر المصحف لما روى عن عمر بن الخطاب ﷺ أنه رأى مصحفاً صغيراً فى يد رجل فقال: من كتبه؟ قال: أنا فضربه بالدرة وقال: عظموا القرآن(٢).

١٣-وأن يفتتحه كلما ختمه حتى لا يكون كهيئة المهجور.

إلى غير ذلك مما ذكره القرطبى فى هذا المضمار.

٥- (معرفة) ما ينبغى لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به ولا يغفل عنه:

يقول القرطبى ينبغى لا صاحب القرآن أن يأخذ نفسه بقراءة القرآن فى ليله ونهاره، فى الصلاة وفى غير الصلاة لئلا ينساه(٣).

والقرطبى ينبه على الشروط التى يجب توافرها فى صاحب القرآن ومنها:

أ - أن يكون عالماً بأهل زمانه، متحفظاً من سلطانه(٤).

ب- أن يكون ورعاً فى دينه ومراقبة ربه فيما أمر به ونهى عنه.

---

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٩.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٠.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٠.
(٤) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢١.

ج- أن يتعلم أحكام القرآن فيفهم عن الله مراده وما فرض عليه فينتفع بما يقرأ ويعمل بما يتلو، فما أقبح حامل القرآن أن يتلو فرائضه وأحكامه عن ظهر قلب وهو لا يفهم ما يتلو(١).

د- أن يعرف المكى من المدنى ليفرق بذلك بين ما خاطب الله به عباده فى أول الإسلام وما ندبهم إليه فى آخر الإسلام وما افترض الله فى أول الإسلام، وما زاد عليهم من الفرائض فى آخره، فالمدنى هو الناسخ للمكى فى أكثر القرآن ولا يمكن أن ينسخ المكى المدنى، لأن المنسوخ هو المتقدم فى النزول قبل الناسخ له(٢).

هـ- أن يعرف الإعراب والغريب، فذلك مما يسهل عليه معرفة ما يقرأ ويزيل عنه الشك فيما يتلو. ثم يورد قول ابن أبى الحوارى قال: أتينا فضيل بن عياض سنة خمس وثمانية ومائة ونحن جماعة فوقفنا على الباب فلم يأذن لنا بالدخول، فقال بعض القوم إن كان خارجاً لشئ فستخرج لتلاوة القرآن فأمرنا قارئاً فقرأ فأطلع علينا من كوة، فقلنا السلام عليك ورحمة الله، فقال وعليكم السلام فقلنا: كيف أنت يا أبا على وكيف حالك؟ فقال: أنا من الله فى عافية ومنكم فى أذى، وإن ما أنتم فيه حدث فى الإسلام فإنا لله وإنا إليه راجعون!، ما هكذا كنا نطلب العلم، ولكنا كنا نأتى المشيخة فلا نرى أنفسنا أهلاً للجلوس معهم فنجلس دونهم ونسترق السمع، فإذا مر الحديث سألناهم إعادته وقيدناه وأنت تطلبون العلم بالجهل وقد ضيعتم كتاب الله، ولو طلبتم كتاب الله لوجدتم فيه شفاء لما تريدون، قال: قلنا قد تعلمنا القرآن، قال: إن فى تعلمكم القرآن شغلاً لأعماركم وأعمار أولادكم قلنا: كيف يا أبا على؟ قال: لن تعلموا القرآن

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢١
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢١.

حتى تعرفوا إعرابه،ومحكمه من متشابهه وناسخه من منسوخه[١]، فإذا عرفتهم ذلك استغنيتم عن كلام فضيل وابن عيينه.

فإذا حصلت هذه المراتب لقارئ القرآن كان ماهراً بالقرآن وعالماً بالفرقان[٢].

٦- كيفية التعلم والفقه لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ﷺ:

ولكى يبين القرطبى كيفية التعلم لكتاب الله يذكر ما قاله أبو عمرو الدانى: من أن رسول الله ﷺ كان يقرئهم العشر فلا يجاوزونها إلى عشر أخرى حتى يتعلموا ما فيها من العمل فيعلمنا القرآن والعمل جميعاً، ثم يذكر ما جاء فى موطأ مالك من أن عبد الله بن عمر مكث على سورة البقرة ثمانى سنين يتعلمها[٣]، ولكى يبين ضرورة ارتباط العمل بالعلم يذكر ما قاله معاذ بن جبل "إعلموا ما شئتم أن تعلموا فلن يأجركم الله بعلمه حتى تعلموا"، وما ذكره فى فضل العلم وشرف الكتاب العزيز وسنة نبيه ﷺ خير دليل على ذلك[٤].

٧- (معرفة) كيفية التلاوة لكتاب الله تعالى وما يكره منها وما يحرم واختلاف الناس فى ذلك(٥):

يحدد القرطبى فى هذا الجانب كيفية التلاوة لكتاب الله ويستمد ذلك مما ذكره السلف من طريقة قراءة رسول الله ﷺ فى مده فى قراءته وتقطيعه للقرآن[٦].

ثم يبين ما ورد عن رسول الله ﷺ من قوله: أحسن الناس صوتاً من إذا قرأ رأيته يخشى الله، كما أن صحابة رسول الله ﷺ يكرهون رفع الصوت عند الذكر[٧].

---

(١) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٢.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٢.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٤٠.
(٤)القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٤١.
(٥)القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٠.
(٦)القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٠.
(٧)القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٠.

ثم يبين ما روى عن القاسم بن محمد: أن رجلاً قرأ فى مسجد النبى ﷺ فطرب فأنكر ذلك القاسم وقال: يقول الله ﷻ: ﴿ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ ۝٤١ لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ... ﴾ (١).

كما أنكر مالك ذلك، ولقد ذكر القرطبى أقسام التأويلات فى ذلك وقسمها إلى ستة تأويلات:

التأويل الأول:

أن طائفة أجازت رفع الصوت بالقرآن والتطريب به وذلك لأنه إذا أحسن الصوت به كان أوقع فى النفوس وأسمع فى القلوب، واحتجوا بقوله ﷺ: "زينوا القرآن بأصواتكم" وبقوله ﷺ: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" ويقول أبى موسى للنبى ﷺ: لو أعلم أنك تستمع لقراءتى لحبرته لك تحبيراً (٢)

والقرطبى يرى أنما احتجوا به من الحديث الأول ليس على ظاهره وإنما هو من باب المقلوب، أى زينوا أصواتكم بالقرآن، قال الخطابى: إنما هو زينوا أصواتكم بالقرآن، وقالوا هو من باب المقلوب، كما قالوا: عرضت الناقة على الحوض (٣).

التأويل الثانى:

ما قاله الخطابى: ورواه طلحة عن عبد الرحمن بن عوسجة عن البراء أن رسول الله ﷺ قال "زينوا القرآن بأصواتكم" أى الهجو بقراءته واشغلوا به أصواتكم واتخذوه شعاراً وزينة (٤).

والقرطبى يرجع إلى هذا المعنى قوله ﷺ: "ليس منا من لم يتغن بالقرآن" أى ليس منا من لم يحسن صوته بالقرآن، كذا تأويله عبد الله بن أبى مليكة. وقد قيل: إن الأمر بالتزيين

---

(١) سورة فصلت : الآية من ٤١-٤٢ .
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١١.
(٣)القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٠.
(٤)القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٠.

اكتساب القراءات وتزيينها بأصواتنا وتقدير ذلك أى زينوا القراءة بأصواتكم، فيكون القرآن بمعنى القراءة(١).

التأويل الثالث:

وقد قيل: إن معنى يتغنى به: يستغنى به من الاستغناء الذى هو ضد الافتقار، لا من الغناء، يقال: تغنيت وتغانيت بمعنى استغنيت(٢).

وإلى هذا التأويل ذهب سفيان ابن عيينه ووكيع بن الجراح.

التأويل الرابع:

قيل إن معنى يتغنى به يتحزن به أى يظهر على قارئه الحزن الذى هو ضد السرور عند قراءته وتلاوته، وليس من الغنية لأنه لو كان من الغنية لقال: يتغانى به ولم يقل يتغنى به(٣)، فهذه أربعة تأويلات، ليس فيها ما يدل على القراءة بالألحان والترجيع فيها(٤).

التأويل الخامس:

ما تأوله من استدل به على الترجيع والتطريب،وذلك ما ذكره عمر بن شبة لأبى عاصم النبيل من تأويل ابن عيينه فى قوله: يتغن: يستغنى فقال: لم يصنع ابن عيينه شيئاً، وسئل الشافعى عن تأويل ابن عيينه فقال نحن أعلم بهذا، لو أراد النبى ﷺ الاستغناء لقال: من لم يستغن ولكن لما قال يتغن، علمنا أنه التغنى، كذا قال الطبرى: المعروف عندنا فى كلام العرب أن الغنى إنما هو الغناء الذى هو حسن الصوت والترجيع(٥).

وادعاء الزاعم أن تغنّيت بمعنى استغنيت فليس فى كلام العرب وأشعارها ولا نعلم أحداً من أهل العلم قاله. يرى القرطبى: أن ما ادعاه الطبرى من أنه لم يرد فى كلام العرب

---

(١)القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٢.
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٢.
(٣) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٣.
(٤) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٤.
(٥) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٤.

تغنى بمعنى استغنى فقد ذكره الجوهرى(١)، والهروى كما ذكرنا وهو يرى أنه إذا احتمل قوله ﷺ: "يتغن" الغناء والاستغناء فليس حمله على أحدهما بأولى من الآخر، بل حمله على الاستغناء أولى لو لم يكن لنا تأويل غيره.

التأويل السادس:

وهو ما جاء من الزيادة فى صحيح مسلم عن أبى هريرة أنه سمع رسول الله ﷺ يقول ما أراد الله لشئ ما أذن لنبى حسن الصوت يتغنى بالقرآن يجهر به". قال الطبرى ولو كان كما قال ابن عيينه لم يكن لذكر حسن الصوت والجهر به معنى. ويرد عليه القرطبى بقوله يجهر به لا يخلو أن يكون من قول النبى ﷺ، أو من قول أبى هريرة أو غيره فإن كان الأول وفيه بعد، فهو دليل على عدم التطريب والترجيع، لأنه لم يقل: يطرب به وإنما قال: يجهر به أى يسمع نفسه ومن يليه، وكذلك إن كان من صحابى أو غيره، فلا حجة فيه على ما راموه(٢).

وخلاصة القول ما نهى به القرطبى فيما ذكره الإمام الحافظ أو الحسين زين وأبو عبد الله الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول من حديث حذيفة أن رسول الله ﷺ قال "اقرءوا القرآن بلحون العرب وأصواتها، وإياكم ولحون أهل الفسق ولحون أهل الكتابين وسيجئ بعدى قوم يرجعون بالقرآن ترجيع الغناء والنوح لا يجاوز حناجرهم مفتونة قلوبهم وقلوب الذين يعجبهم شأنهم(٣).

---

(١) الجوهرى: هو أبو نصر إسماعيل بن حماد الجوهرى ت ٣٩٣هـ، راجع بروكلمان: تاريخ الأدب العربى ج٢ ص٢٥٩.

(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٥، وراجع صحيح مسلم ج١ ص٣١٧، طبعة الحلبى.

(٣) راجع القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص١٦: "ومعنى الترجيع والتطريب: أن فى الترجيع والتطريب همز ما ليس بمهموز مد ما ليس بممدود، فترجع الألف الواحدة ألفات والواو الواحدة واوات، والشبهة الواحدة شبهات، فيؤدى ذلك إلى زيادة فى القرآن وذلك ممنوع، وإن وافق ذلك موضع نبر وهمز صيروها نبرات وهمزات.

٨- (معرفة) ما جاء فى فضل تفسير القرآن وأهله :

ينبه القرطبى فى هذا المضمار على حامل القرآن ومفسره أن يكون خالياً من الرياء لقوله تعالى:

﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴾ (١)

كما ذكر الأخبار التى وردت وأقوال أئمة الإسلام فى فضل تفسير القرآن من ذلك ما قاله مجاهد، أحب الخلق إلى الله تعالى أعلمهم بما أنزل. وقال إياس بن معاوية: مثل الذين يقرءون القرآن وهم لا يعملون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من ملكهم ليلا وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة وهم لا يدرون ما فى الكتاب، ومثل الذى يعرف التفسير كمثل رجل جاءهم بمصباح فقرءوا ما فى الكتاب (٢).

(٤)

يطالعنا القرن الثامن الهجرى بمثال من كتب التفسير من المغرب العربى وهو التسهيل لعلوم التنزيل لابن جزى الكلبى الغرناطى المتوفى سنة ٧٤١هـ

وبطبيعة منهجنا فى الدراسة التطورية نبدأ بابن جزى الكلبى فى مقدمة تفسيره وما جاء فيها من علوم القرآن وبيان ميله إلى الإيجاز والاختصار حيث يقول فى مقدمة تفسيره: فإن علم القرآن العظيم: هو ارفع العلوم قدراً، وأجلها خطراً، وأعظمها أجراً وأشرفها ذكراً، وأن الله أنعم علىَّ بأن شغلنى بخدمة القرآن،وتعلمه وتعليمه وشغفنى بتفهم معانيه وتحصيل علومه، فاطلعت على ما صنف العلماء رضى الله عنهم فى تفسير القرآن

(١) سورة الكهف : الأية ١١٠ .
(٢) القرطبى: المصدر نفسه ج١ ص٢٦.

من التصانيف المختلفة الأوصاف المتباينة الأصناف، فمنهم من آثر الاختصار ومنهم من طول حتى كثر الأسفار ومنهم من تكلم فى بعض فنون العلم دون بعض،ومنهم من اعتمد على نقل أقوال الناس،ومنهم من عول على النظر والتحقيق والتدقيق، وكل أحد سلك طريقاً نحاه، وذهب مذهباً ارتضاه فرغبت فى سلوكه طريقهم وصنفت هذا الكتاب فى تفسير القرآن العظيم،وسائر ما يتعلق به من العلوم،وسلكت مسلكاً نافعاً، إذ جعلته وجيزاً جامعاً، قصدت به أربعة مقاصد، تضمن أربع فوائد:

الفائدة الأولى: جمع كثير من العلم فى كتاب صغير الحجم، تسهيلاً على الطالبين، وتقرباً على الراغبين، ولقد أودعته من كل فن من فنون علم القرآن: اللباب المرغوب فيه دون القشر المرغوب عنه، ثم أنى عزمت على إيجاز العبارة،وإفراط الاختصار وترك التطويل والتكرار.

الفائدة الثانية: ذكر نكت عجيبة، وفوائد غريبة، قلما توجد فى كتاب.

الفائدة الثالثة: إيضاح المشكلات، إما بحل العقد المقفلات وإما بحسن العبارة، ورفع الاحتمالات، وبيان المجملات.

الفائدة الرابعة: تحقيق أقوال المفسرين، القيم منها والصحيح،وتمييز الراجح من المرجوح ذلك أن أقوال الناس على مراتب فمنها الصحيح الذى يعول عليه، ومنها الباطل الذى لا يتلفت إليه، ومنها ما يحتمل الصحة والفساد(١).

ثم يبين لنا ما جاء من علوم القرآن فى مقدمة كتابه الذى سماه: التسهيل لعلوم التنزيل، فيحدد لنا أنه قدم له بمقدمتين: إحداهما فى أبواب نافعة وقواعد كلية جامعة والأخرى فيما كثر دوره من اللغات الواقعة.

(١) ابن جزى الكلبى الغرناطى: التسهيل لعلوم التنزيل ج١ ص٥، طبع دار الكتب الحديثة.

استخلصنا من هاتين المقدمتين ما جاء من علوم القرآن، رتبناها على حسب تناسقها وارتباطها نبينها فيما يلى:

أولاً: ما يتعلق بتاريخ النص القرآنى:

١- نزول القرآن:

أ- يحدد ابن جزى مدة نزول القرآن على رسول الله ﷺ بعشرين سنة أو ثلاث وعشرين سنة على حسب الاختلاف فى سن رسول الله ﷺ، إذ أن القرآن نزل على رسول الله ﷺ وسنه أربعون سنة، وقيل أنه توفى وهو ابن ستين سنة أو ثلاث وستين سنة(١).

ب- (معرفة) أول ما نزل وآخر ما نزل: يبين أن أول ما نزل عليه ﷺ: صدر سورة العلق ثم المدثر والمزمل، وقيل أول ما نزل المدثر وقيل فاتحة الكتاب ويرجح القول الأول لحديث عائشة فى ابتداء الوحى(٢)، وآخر ما نزل: ﴿ إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ ﴾(٣) وقيل آية الدين التى فى البقرة وقيل الآية قبلها.

ج- معرفة السور المكية والمدنية: يحدد ابن جزى معنى السورة المكية ومعنى السورة المدنية فيقول: إن السور المكية هى التى نزلت بمكة ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة، وإن السور المكية نزل أكثرها فى إثبات العقائد والرد على المشركين، وفى قصص الأنبياء أما المدنية فهى السور التى نزلت بالمدينة وبعد منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة ونزل أكثرها فى الأحكام الشرعية وفى الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين يقول وحيث ما ورد: "يا أيها الذين آمنوا" فهو مدنى وأما "يا أيها الناس فقد وقع فى المكى والمدنى.

---

(١) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص٦.
(٢) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص٦.
(٣) سورة النصر : الأية ١ .

وهو يقسم السور ثلاثة أقسام: قسم مدني باتفاق: وهي اثنتان وعشرون سورة، وقسم مكي باتفاق: وهي سائر السور،وقد وقعت آيات مدنية في سور مكية، كما وقعت آيات مكية في سور مدنية وذلك قليل، مختلف في أكثره(١).

٢- (معرفة) جمع القرآن:

لم يختلف ابن جزي عن سابقيه في أن القرآن كان على عهد رسول الله ﷺ متفرقاً في الصحف وفي صدور الرجال فلما توفي رسول الله ﷺ قعد علي بن أبي طالب ﷺ في بيته فجمعه على ترتيب نزوله، ولو وجد مصحفه لكان فيه علم كبير، فلما قتل جماعة من الصحابة يوم اليمامة في خلافة أبي بكر أشار عمر ابن الخطاب ﷺ بجمع القرآن، مخافة أن يذهب بموت القراء فجمعه في صحف غير مرتب السور، وبقيت هذه الصحف عنده حتى مات، ثم عند عمر، ثم عند حفصة، ثم جمع في عهد عثمان بعدما أشار عليه حذيفة لاختلاف الناس فجمعه ونسخ منه نسخاً وجههاً إلى الأمصار وأمر ما سواها أن يحرق(٢)

٣- (معرفة) ترتيب سور القرآن:

يرجع ابن جزي أن ترتيب سور القرآن كان من فعل عثمان وزيد بن ثابت والذين كتبوا معه المصاحف، أما ما قيل إنه من فعل رسول الله ﷺ فيذكر أنه ضعيف(٣)، وفيه نظر.

٤- (معرفة) نقط القرآن وشكله وتحزيبه:

لم يضف ابن جزي جديداً في هذا المضمار عن سابقيه في أن ذلك من فعل الحجاج بن يوسف بأمر عبد الملك بن مروان، وهو لا يختلف أيضاً فيما قيل أن أول من نقطه يحيى بن يعمر وقيل أبو الأسود الدؤلي(٤).

---

(١) ابن جزي: المصدر نفسه ج١ ص٨.
(٢) ابن جزي: المصدر نفسه ج١ ص٦، ٧.
(٣) ابن جزي: المصدر نفسه ج١ ص٧.
(٤) ابن جزي: المصدر نفسه ج١ ص٧.

وأما وضع الأعشار فيه فقيل إن الحجاج فعل ذلك وقيل بل أمر به المأمون.

٥- (معرفة) أسماء القرآن:

لم يناقش تلك الأسماء كما فعل الطبرى بل حدد أن أسماء القرآن أربعة هى: القرآن والفرقان، والكتاب، والذكر، وسائر ما يسمى صفات لا أسماء، ثم يوضح تلك الأسماء باختصار شديد وهى طبيعة ابن جزى حيث يقول:

- **فأما القرآن:** فاصله مصدر قرأ، ثم أطلق على المقروء.
- **وأما الفرقان:** فمصدر أيضاً معناه التفرقة بين الحق والباطل.
- **وأما الكتاب:** فمصدر ثم أطلق على المكتوب.
- **وأما الذكر:** فسمى القرآن لما فيه من ذكر الله أو من التذكير والمواعظ.

ثم يشير إلى أنه لا يجوز فى السورة من القرآن الهمز وترك الهمز لغة قريش،وأما الآية فاصلها العلامة ثم سميت الجملة من القرآن بها لأنها علامة على صدق النبى ﷺ(١).

ثانيا: ما يتعلق بالعلوم والفنون التى تتعلق بالقرآن:

١- (معرفة) المعانى والعلوم التى تضمنها القرآن:

وهو يذكر تلك المعانى والعلوم على الجملة والتفصيل، أما على الجملة يبين أن المقصود بالقرآن دعوة الخلق إلى عبادة الله والدخول فى دينه، وذلك يتطلب أمرين:

- **أحدهما:** بيان العبادة التى دعى الخلق إليها.
- **والآخر:** ذكر البواعث التى تبعثهم على الدخول فيها وتردهم إليها.

ويقسم العبادة إلى قسمين: وهما أصول العقائد وأحكام الأعمال ويقسم البواعث إلى أمرين: وهما الترغيب والترهيب. وأما على التفصيل فيقول: إن معانى القرآن سبعة: هى

(١) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص٧.

علم الربوبية، والنبوة، والأحكام، والوعد، والوعيد والقصص، والمعاد، ويبين لنا معنى كل واحد من ذلك(١).

٢- (معرفة) فنون العلوم التي تتعلق بالقرآن:

يوضح في ذلك أن الكلام على القرآن يستدعي الكلام في اثني عشر فناً من العلوم وهي: التفسير، والقراءات، والأحكام والنسخ، والحديث، والقصص والتصوف، وأصول الدين، وأصول الفقه، واللغة،والنحو، والبيان. ويحدد أن التفسير هو المقصود بنفسه وسائر هذه الفنون أدوات تعين عليه أو تتعلق به أو تتفرع منه(٢).

ثم يفصل القول في كل فن من تلك العلوم التي حددناها حسب ارتباط كل منها بالآخر:

أ – (معرفة) ما يتعلق بالتفسير

١- أنواع التفسير:

يبين لنا أن التفسير منه متفق عليه ومختلف فيه،ويقسم المختلف فيه ثلاثة أقسام

الأول: اختلاف في العبارة مع اتفاق في المعنى، حيث يقول: عده كثير من المؤلفين خلافاً وهو ليس بخلاف لاتفاق معناه.

الثاني: اختلاف في التمثيل لكثرة الأمثلة الداخلة تحت معنى واحد،وليس مثال منها على خصوصه هو المراد، وإنما المراد المعنى الذي تندرج تلك الأمثلة تحت عمومه، يقول فقد عده كثير من المؤلفين خلافاً، وهو في الحقيقة ليس خلافاً لأن كل قول منها مثال وليس كل المراد.

---

(١) ابن جزي: المصدر نفسه ج١ ص٩.
(٢) ابن جزي: المصدر نفسه ج١ ص١٠.

الثالث: اختلاف المعنى، يقول: فهذا الذى عددناه خلافاً، ورجحنا فيه بين أقوال الناس(١).

لم يبين ابن جزى ذلك بالأمثلة بل اكتفى بالقول وهذا يؤخذ على ابن جزى.

٢ - (معرفة) الفرق بين التفسير والتأويل:

يبين فى هذا المضمار الفرق بين التفسير والتأويل ويورد فى ذلك ثلاثة أقوال، وإن كان لم يوضح لنا نسبة كل قول، إلا أنه حدد تلك الأقوال أن المراد بها أنهما بمعنى واحد وهذا هو القول الأول.

الثانى: أن التفسير للفظ، والتأويل: للمعنى.

الثالث: الذى يعده الصواب: أن التفسير: هو الشرح،والتأويل: هو حمل الكلام على معنى غير المعنى الذى يقتضيه الظاهر بموجب اقتضى أن يحمل على ذلك ويخرج على ظاهره(٢).

٣- (معرفة) طبقات المفسرين:

أفاض القول فى طبقات المفسرين فيقول: أعلم أن المفسرين على طبقات، فالطبقة الأولى: الصحابة رضى الله عنهم،وأكثرهم كلاماً فى التفسير ابن عباس حيث يقول ما عندى من تفسير القرآن فهو عن على بن أبى طالب ﷺ ويتلوهما عبد الله بن مسعود وأبى بن كعب، وزيد بن ثابت وعبد الله بن عمرو بن العاص، وكلما جاء من التفسير عن الصحابة فهو حسن.

والطبقة الثانية: التابعون وعد منهم كثير ثم ذكر لنا كثيراً ممن ألف فى تفسير القرآن وعلومه، حيث حمل تفسير القرآن عدول كل خلف(٣).

---

(١) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص١١.
(٢) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص١١.
(٣) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص١٦

٤- (معرفة) أسباب الخلاف بين المفسرين:

يحدد وجوه الخلاف بين المفسرين في اثنى عشر وجهاً ثم يبين وجوه الترجيح بين أقوالهم في اثنى عشر وجهاً وما يهمنا ذكره هو وجوه الترجيح بين أقوالهم:

فالأول: تفسير بعض القرآن ببعض فإذا دل موضع من القرآن على المراد بموضع آخر حملناه عليه ورجحنا القول بذلك على غيره من الأقوال.

الثاني: حديث النبي ﷺ فإذا ورد عنه ﷺ تفسير شئ من القرآن عولنا عليه.

الثالث: أن يكون القول قول الجمهور وأكثر المفسرين: فإن كثرة القائلين بالقول يقتضي ترجيحه.

الرابع: أن يكون القول قول من يقتدى به من الصحابة كالخلفاء الأربعة وعبد الله بن عباس.

الخامس: أن يدل على صحة القول كلام العرب من اللغة والإعراب أو التصريف أو الاشتقاق.

السادس: أن يشهد بصحة القول سياق الكلام ويدل عليه ما قبله أو ما بعده.

السابع: أن يكون ذلك المعنى المتبادر إلى الذهن، فإن ذلك دليل على ظهوره ورجحانه.

الثامن: تقديم الحقيقة على المجاز، فإن الحقيقة أولى أن يحمل عليها اللفظ عند الأصوليين وقد اختلف العلماء أيهما يقدم: فمذهب أبي حنيفة تقديم الحقيقة لأنها الأصل،ومذهب أبي يوسف تقديم المجاز الراجح لرجحانه، وقد يكون المجاز أفصح وابرع فيكون أرجح.

التاسع: تقديم العمومي على الخصوصي، فإن العمومي أولى لأنه الأصل إلا أن يدل دليل على التخصيص.

العاشر: تقديم الإطلاق على التقييد، إلا أن يدل دليل على التقييد.

الحادي عشر: تقديم الاستقلال على الإضمار إلا أن يدل دليل على الإضمار.

الثانى عشر: حمل الكلام على ترتيبه إلا أن يدل دليل على التقديم والتأخير.

تلك كانت وجوه الترجيح عند ابن جزى فى خلافات المفسرين(١).

ثم يضع ابن جزى علوماً يحتاج إليها المفسر لتعينه على فهم النص القرآنى منها:

١- حاجة المفسر إلى علم الحديث:

وهو يبين أن المفسر يحتاج إلى رواية الحديث وحفظه لسببين:

الأول: معرفة أسباب نزول الآيات وفيمن نزلت وفيم نزلت ومتى نزلت.

الثانى: أنه ورد عن النبى ﷺ كثير من تفسير القرآن فيجب معرفته لأن قوله ﷺ مقدم على أقوال الناس(٢).

٢- حاجة المفسر إلى علوم التصوف:

وهو ذكر علاقة علم التصوف بالقرآن لما ورد فى القرآن من المعارف الإلهية ورياضة النفوس وتنوير القلوب ويذكر أن الصوفية قد تكلموا فى القرآن وبعد منهم من أحسن وأجاد، ومنهم من توغل فى الباطنية وحمل القرآن على مالا تقتضيه اللغة العربية.

وذكر مقامات التصوف وعد منها: الشكر، والتقوى، والصبر، ومحبة الله والتوكل والمراقبة، والخوف، والرجاء، والإخلاص إلى غير ذلك من المقامات التى ذكرها من مقامات التصوف(٣).

٣- حاجة المفسر إلى علوم اللغة والبلاغة:

يبين ابن جزى أن المفسر فى حاجة إلى حفظ ما ورد من اللغة فى القرآن ومقصود غريب القرآن، حيث أشار إلى أن الناس قد صنفوا فى غريب القرآن، كما يؤكد

---

(١) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص١٣

(٢) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص١٥.

(٣) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص١٣.

على المفسر ضرورة معرفته بالنحو لأن القرآن نزل بلسان العرب فيحتاج إلى معرفة اللسان، ويقسم النحو قسمين أحدهما عوامل الإعراب،وهى أحكام الكلام المركب والآخر: التصريف وهى أحكام الكلمات من قبل تركيبها(١).

ثم يبين حاجة المفسر إلى الفصاحة والبلاغة وأدوات البيان، حيث يقول: أما الفصاحة فلها خمسة شروط:

الأول: أن تكون الألفاظ عربية لا مما أحدثه المولدون ولا ممن غلطت فيه العامة.

الثانى: أن تكون الألفاظ مستعملة لا وحشية مستثقلة.

الثالث: أن تكون العبارة واقعة على المعنى موفية له، لا قاصرة عنه.

الرابع: أن تكون العبارة سهلة سالمة من التعقيد.

الخامس: أن يكون الكلام سالماً من الحشو الذى لا يحتاج إليه.

كما يوضح أن البلاغة هى سياق الكلام على ما يقتضيه الحال والمقال من الإيجاز والإطناب ومن التهويل والتحقير، ومن التصريح والكناية والإشارة وغير ذلك بحيث يهز النفوس ويؤثر فى القلوب،ويقود السامع إلى المراد، كما يبين أدوات البيان

(١) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص١٤.

وعدها صناعة البديع،وحصر ما فى القرآن منها اثنين وعشرين نوعاً(١).

ب- (معرفة) ما يتعلق بالقراءات:

١- أنواع القراءات:

قسم القراءات قسمين: مشهورة،وشاذة،يقول: فأما المشهورة فهى القراءات السبع.

---

(١) راجع ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص٢١، ٢٢، حيث يقول وقد ذكرنا هنا أسماءها ونبين معناه:
الأول: المجاز وهو اللفظ المستعمل فى غير ما وضع له بعلاقة بينهما، وهو اثنا عشر نوعا: التشبيه والاستعارة، والزيادة، والنقصان وتشبيه المجاورة باسم مجاورة، وللملابس باسم ملابسة، والكل وإطلاق اسم الكل على البعض، وعكسه، والتسمية باعتبار ما يستقبل، والتسمية باعتبار ما مضى.
- الثانى: الكناية: وهى العبارة عن الشئ بما يلازمه من غير تصريح.
- الثالث: الالتفات: وهو على ستة أنواع: خروج من التكلم إلى الخطاب أو الغيبة وخروج من الخطاب إلى التكلم أو الغيبة وخروج من الغيبة إلى الخطاب أو التكلم.
- الرابع: التجديد: والقصد بالتجديد تعظيم المجد ذكره أو تحقيره.
- الخامس: الاعتراض: وهو إدراج كلام بين شيئين متلازمين، كالخبر والمخبر عنه، والصفة والموصوف وإدخاله فى أثناء الكلام والقصد به تأكيد الكلام الذى أدرج فيه.
- السادس: التجنيس: وهو اتفاق مع اختلاف المعنى قد يكون فى الحروف أو الصيغة.
- السابع: الطباق: وهو ذكر الأشياء المتضادة كالسواد والبياض وغير ذلك.
- الثامن: المقابلة: وهو أن يجمع بين شيئين فصاعداً ثم يقابلهما بأشياء أخرى.
- التاسع: المشاكلة: وهى أن تذكر الشئ بلفظ آخر لوقوعه فى صحبته.
- العاشر: الترديد: وهو رد الكلام على آخره ويسمى فى الشعر رد العجز على الصدر.
- الحادى عشر: لزوم ما يلزم: وهو أن تلتزم قبل حروف الروى حرفا آخر وكذلك عند رؤوس الآيات.
- الثانى عشر: القلب: وهو أن يكون الكلام يصلح ابتداء قراءته من أوله وآخره نحو عد أو تعكس كلماته فتقدم المؤخر وتؤخر المقدم.
- الثالث عشر: التقسيم: وهو أن تقسم المذكور إلى أنواعه أو أجزائه.
- الرابع عشر: التقييم: وهو أن تزيد فى الكلام ما يوضحه ويؤكده وإن كان مستقلا دون هذه الزيادة.
- الخامس عشر: التكرار: وهو أن تضع الظاهر وضع المضمر فتكرر الكلمة على وجه التعظيم أو التهويل أو مدح المذكور أو ذمه أو للبيان.
- السادس عشر: التهكم: وهو إخراج الكلام من مقتضاه استهزاء بالمخاطب أو بالخبر،كذلك البشارة فى موضع النذارة.
- السابع عشر: اللف والنشر: وهو أن تلف فى الذكر شيئين فأكثر ثم تذكر متعلقات بها وفيه طريقتان أن تبدأ فى ذكر المتعلقات بالأول وان تبدأ بالآخر.
- الثامن عشر: الجمع: وهو أن تجمع بين شيئين أو أكثر فى خبر واحد وفى وصف واحد وشبه ذلك.
- التاسع عشر: الترصيع: وهو أن تكون الألفاظ فىآخر الكلام مستوفية الوزن أو متقاربة مع الألفاظ التى فى أوله.
- العشرون: التسجيع وهو أن تكون كلمات الأى على روى واحد.
- الحادى والعشرون: الاستطراد: وهو أن يتطرق من كلام إلى كلام آخر بوجه يصل ما بينهما ويكون الكلام الثانى هو المقصود: كخروج الشاعر من السب إلى المدح.
- الثانى والعشرون: المبالغة: وقد تكون بصيغة الكلمة نحو صيغة فعال ومفعال وقد تكون بالمبالغة فى الأخبار أو الوصف.

وما جرى مجراها: كقراءة يعقوب وابن محيض، والشاذ ما سوى ذلك، وهو يبين أن بنى كتابه على قراءة نافع لوجهين:

أحدهما: أنها القراءة المستعملة فى بلاد المغرب.

الثانى: أنها قراءة أهل المدينة(١).

٥- (معرفة) جوامع القراءة:

بين فيها القراءات المشهورة والشاذة وحدد شروط القراءة الصحيحة بثلاثة شروط:

١- موافقته لمصحف عثمان بن عفان ﷺ.

٢- موافقته لكلام العرب ولو على بعض الوجوه أو فى بعض اللغات.

٣- نقله نقلاً مستفيضاً أو متواتراً.

وبين اختلاف القراء على نوعين: أصول، وفرش حروف: فأما الأصول فالاختلاف فيها لا يغير المعنى، فلا يتغير المعنى مهما اختلف القراء وحدد لها ثمانى قواعد للقراءة الصحيحة(٢).

---

(١) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص١٤.

(٢) راجع ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص٢٠.

حيث عد أصول القراءة ترجع إلى ثمانى قواعد:

- الأول : الهمزة وهى حروف المد الثلاث،ويزاد فيها على المد الطبيعى بسبب الهمزة والتقاء الساكنين.
- الثانية: واصلها التحقيق ثم قد يخفف على سبعة أوجه: إبدال واو أو ياء أو ألف وتسهيل بين الهمزة والواو وبين الهمزة والياء، وبين الهمزة والألف وإسقاط الهمزة.
- الثالثة: الإدغام،والإظهار، والأصل الإظهار، ثم يحدث الإدغام فى المثلين، أو المتقاربين وفى كلمة وفى كلمتين، وهو نوعان: إدغام كبير انفرد به أبو عمرو: وهو إدغام المتحرك، وإدغام صغير لجميع القراء: وهو إدغام الساكن.
- الرابعة: الإمالة وهى أن تنحو بالفتحة نحو الكسرة، وبالألف نحو الياء،والأصل الفتح،ويوجب الإمالة الكسرة والياء.
- الخامسة: الترقيق والتفخيم،والحروف على ثلاثة أقسام يفخم فى كل حال،وهى حروف الاستعلاء لسبعة،ومفخم تارة ومرقق أخرى وهى الراء واللام والألف: فاما الراء فأصلها التفخيم وترقق للياء والكسر، واللام فأصلها الترقيق وتفخم لحروف الإطباق، وأما الألف فهى تابعة للتفخيم والترقيق لما قبلها.
- السادسة: الوقف،وهو على ثلاثة أنواع: سكون جائز فى الحركات الثلاثة وروم فى المضموم والمكسور، وإشمام فى المضموم خاصة.
- السابعة: مراعاة الخط فى الوقف.
- الثامنة: إثبات الياءات وحذفها، ج١ ص٢٠.

أما الفرش: فهو ما لا يرجع إلى أصل مضطرد ولا قانونى كلى،وهو على وجهين اختلاف فى القراءة باختلاف المعنى، وباتفاق المعنى.

جـ- (معرفة) ما يتعلق بأحكام القرآن:

حدد ابن جزى أن أحكام القرآن هى ما ورد فيه من الأوامر والنواهى والمسائل الفقهية، كما ذكر من صنف فيه حيث يقول: وقد صنف الناس فى أحكام القرآن تصانيف كثيرة،ومن أحسن تصانيف المشارقة فيها تأليف إسماعيل القاضى وابن الحسن كباه،ومن أحسن تصانيف أهل الأندلس تأليف القاضى الإمام أبى بكر بن العربى وابن الفرس(١).

د - (معرفة) ما يتعلق بالناسخ والمنسوخ:

يبين أن النسخ متعلق بالأحكام لأنها محل النسخ إذ لا تنسخ الأخبار ولابد من معرفة ما وقع فى القرآن من الناسخ والمنسوخ ثم يذكر أنه قد صنف الناس فيه تصانيف كثيرة أحسنها تأليف القاضى أبى بكر بن العربى ثم يحدد قواعد النسخ بعد أن يبين معنى النسخ فيقول: النسخ فى اللغة: هو الإزالة والنقل، ومعناه فى الشريعة: رفع الحكم الشرعى بعد ما نزل،ولقد وقع فى القرآن على ثلاثة أوجه:

الأول: نسخ اللفظ والمعنى كقوله: "**لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم**".

الثانى: نسخ اللفظ دون المعنى كقوله: "الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالاً من الله والله عزيز حكيم.

الثالث: نسخ المعنى دون اللفظ،وهو كثير وقع منه فى القرآن(٢).

هـ- (معرفة) ما يتعلق بالوقف:

قسم ابن جزى الوقف أربعة أنواع:

---

(١) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص١٢.
(٢) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص١٨.

١- **وقف تام:** وذلك إن كان الكلام مستقلاً والثانى كذلك، وكان الكلام فى قصتين مختلفتين فالوقف تام.

٢- **وقف حسن:** وذلك إن كان الكلام مستقلاً والثانى كذلك، وكان الكلام فى قصة واحدة بالوقف على الأول حسن.

٣- **وقف كاف:** إن كان الكلام الأول مستقلاً يفهم دون الثانى، إلا أن الثانى غير مستقل إلا بما قبله فالوقف على الأول كاف.

٤- **وقف قبيح:** وهو خلاف ذلك.

وكل ذلك لا يتم إلا بالنظر إلى الإعراب والمعنى، فإن كان الكلام مفتقراً إلى ما بعده فى إعرابه أو معناه وما بعده مفتقراً إليه كذلك لم يجز إليه الفصل بين كل معمول وعامله وخبر وخبره وجواب وجوابه،وموصول وصلته(١).

و- ما يتعلق بإعجاز القرآن:

ذكر عشرة أوجه لإعجاز القرآن وقد تابع فيها القرطبى مع الاختصار والإيجاز(٢).

ز- (معرفة) فضل القرآن:

يذكر الأحاديث التى وردت فى فضل القرآن، واكتفى بذكر الأحاديث الصحيحة من ذلك ما ورد عن أبى إمامة الباهلى قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: اقرءوا القرآن فإنه يأتى يوم القيامة شفيعاً لأصحابه"، إلى غير ذلك من الأحاديث التى أوردها فى فضل القرآن(٣).

ح- ما يتعلق بتفسير معانى اللغات:

خصص لذلك مقدمة تفسيره الثانية وذكر فيها الكلمات التى يكثر دورها فى القرآن ووضح معناها، وحدد فوائد جمعها فى تلك المقدمة بثلاث فوائد:

---

(١) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص٢٠.
(٢) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص٢٣.
(٣) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص٢٤.

إحداها: تيسرها للحفظ.

الثانى: ليكون هذا الباب كالأصول الجامعة لمعانى التفسير.

الثالثة: الاقتصار(١).

تلك كانت طبيعة التأليف فى علوم القرآن حسبما جاءت فى مقدمات كتب التفسير على مدى خمسة قرون، كيف بدأت عند ابن جرير الطبرى فى كتابه: "جامع البيان عن تأويل آى القرآن"، الذى يعد نقطة البدء وحجر الأساس لأدب التفسير القرآنى فلقد جمع بذور الاتجاهات السابقة كلها من لغوية ونقلية وكتابية(٢).

كما أنه يعد قمة فى التفسير بالمأثور والذى يتضاءل من بعده هذا المنهج النقلى ليصبح قرين التأخر لحركة التفسير فى مرحلة الركود، ومن هنا فقد جاءت علوم القرآن بمقدمات تلك الكتب مقترنة بكل مرحلة من تلك المراحل فى التفسير، ثم تطور التفسير بعد ابن جرير فى القرون الثلاثة التالية له ليبلغ أوجه عند ثلاثة من كبار المفسرين فى القرن السادس الهجرى: قمتهم الزمخشرى "المتوفى سنة ٥٣٨هـ" الذى يمثل التفسير الاعتزالى وقد اعتمد فى تأويله على التخريجات النحوية واللغوية وافتراض التعبير المجازى، واشتراط مطابقة التفسير للعقل، مع تركيزه على ضرورة الحذق بعلمى المعانى والبيان هكذا تعددت الجهود البلاغية والبيانية من جانب المعتزلة فى تفسير النص القرآنى من أجل غاية فلسفية كانت تحدد منهجهم الفكرى.

إن النص القرآنى الكريم كان مصدر إلهام يستوحيه المفسرون كلما توسعت ثقافتهم النظرية وازداد علمهم بحقائق الوجود الكبرى وفى ذلك يتساوى الفلاسفة والمتكلمون

---

(١) ابن جزى: المصدر نفسه ج١ ص٢٥.
(٢) د/ عفت الشرقاوى: قضايا إنسانية فى أعمال المفسرين ص٣٥.

والصوفية وغيرهم من العلماء، فالحقيقة القرآنية كانت تتكشف دائماً للعقل البشرى كلما ازداد المفسر علماً بأسرار الكون والنفس الإنسانية، ثم شاء القدر للأمة الإسلامية بعد هذه المرحلة أن تقاسى محناً سياسية مختلفة انحدرت بنشاطها الفكرى إلى مستوى الترديد والوقوف عند تكرار المنقول، ولم يقف ذلك عند هذا الحد بل إن بعض المغرمين بالجمع وكثرة الرواية لا يتحرون الصحة فيما يجمعون من تفسير، فيخلطون بين الصحيح والعليل والإسراف فى النقل عن الإسرائيليات بالإضافة إلى أن التفسير فى هذه المرحلة اعتمد على الاختصار والإيجاز وترديد جهود السابقين،كما رأينا عند ابن جزى من الاختصار المل وذلك راجع إلى ما كان من انحلال فى دولة الأندلس.

تلك كانت نبذة وجيزة عما ألم بالتفسير فى تلك الحقبة من الزمان التى اخترنا منها نماذج اقتصرنا على ما جاء بمقدماتها من علوم القرآن، فقد حان لنا أن نبين ما اتفق فى مناقشته أصحابها ومدى فهمهم لكل منها، وما انفرد به كل منهم حسب المنحى الذى نحاه.

أولاً: ما اتفق فى مناقشته المفسرون من علوم القرآن فى مقدمات كتب التفسير:

١- (معرفة) أسماء القرآن وسوره وآية :

أفاض الطبرى فى بيان أسماء القرآن فحددها أربعة أسماء وذكر أن لكل اسم من تلك الأسماء الأربعة فى كلام العرب معنى ووجهاً غير معنى الآخر ووجهه، ثم يوضح كل اسم من أسمائه على حدة، ويمحصه يناقشه مناقشة واعية، وما فعله فى أسماء القرآن أجراه على سورة وآية فى حين نجد القرطبى لم يوضح لنا سوى معنى السورة والآية واكتفى بذلك، على حين نجد ابن جزى وضع مفهوماً مختصراً بطريقة مدرسية بحتة وهذا كما سبق لنا القول كانت طبيعة العصر.

٢- (معرفة) جمع القرآن:

اتفق الطبرى والقرطبى وابن جزى على ما جاء من جمع القرآن ولم يختلف أحد منهم فى ذلك.

٣- (معرفة) أنه ليس في القرآن كلمات خارجة عن لغات العرب:

لقد أوفى الطبرى القول فى ذلك حيث أثبت بطريق الدليل والبرهان أن القرآن ليس فيه كلمات خارجة عن لغات العرب، وإنما ذلك كان اتفاقاً فى اللفظ واَلمعى بين الأجناس المختلفة وأن الله ﷻ أنزل جميع القرآن بلسان العرب دون غيرها من ألسن سائر أجناس الأمم، فى حين أن القرطبى يرى أن ليس فى القرآن كلام مركب أى مبنى على أساليب غير العرب، وهو يرى أن فيه أسماء أعلام لمن لسانه غير لسان العرب، وقد رجح قول أبو عبيدة من أن العرب لا يخلو أن تكون تخاطبت بها أو لا، ولا يبعد أن يكون غيرهم قد وافقهم على بعض كلماتهم.

٤- (معرفة) النهى عن القول فى تأويل القرآن بالرأى:

يرى الطبرى أنه لا يجوز لأحد القول فيما لا يدرك علمه إلا ببيان رسول الله ﷺ، وما لا يدرك علمه إلا الله وهو مباح لما سوى ذلك، نرى القرطبى قد حدد أن النهى يحمل على وجهين:

١- أن يكون له فى الشئ رأى، وإليه ميل من طبعه وهواه فيتناول القرآن على وفق رأيه وهواه ليحتج على تصحيح غرضه.

٢- أن يتسارع إلى تفسير القرآن بظاهر العربية، من غير استظهار بالسماع والنقل، فلم يحكم ظاهر التفسير وبادر إلى استنباط المعانى بمجرد فهم العربية كثر غلطه.

٥- (معرفة) وجوه مطالب تأويل القرآن:

حدد الطبرى أن تأويل جميع القرآن على أوجه ثلاثة:

أ - ما استأثر الله بعلمه.

ب- ما خص الله بعلم تأويله لنبيه.

ج- ما كان علمه عند أهل اللسان الذى نزل به القرآن.

وعد الوجه الرابع الذى ذكره ابن عباس: من أن أحداً لا يعذر بجهالته إنما هو خبر عن أن من تأويله مالا يجوز لأحد الجهل به، ذكر القرطبى فى هذا الجانب أن يفسر القرآن بالسنة انطلاقاً من قوله ﷺ: "أوتيت الكتاب ومثله معه". نجد ابن جزى قد لخص فى هذا الجانب أنواع التفسير وأسباب الخلاف بين المفسرين على ما أوضحناه فيما جاء فى مقدمته من علوم للقرآن.

٦- (معرفة) المكى والمدنى:

حدد القرطبى السور المكية والمدنية دون خوض فى تفصيل، حيث جاء على سبيل السرد بينما ابن جزى وضع قواعد للمكى من أهمها:

١- أن السور المكية هى التى نزلت بمكة ويعد منها كل ما نزل قبل الهجرة وإن نزل بغير مكة.

٢- أن السور المكية نزل أكثرها فى إثبات العقائد والرد على المشركين وفى قصص الأنبياء.

٣- أما ورد فيه ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ... ﴾ [١] فقد وقع فى المكى والمدنى.

كما وضع قواعد للمدنى من أهمها:

(١) سورة البقرة : من الآية ٢١ .

١- أن السور المدنية ما نزلت بالمدينة ويعد منها كل ما نزل بعد الهجرة وإن نزل بغير المدينة.

٢- أن السور المدنية نزل أكثرها فى الأحكام الشرعية وفى الرد على اليهود والنصارى وذكر المنافقين.

٣- وحيث ما ورد: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ..." (١) فهو مدنى.

٧- (معرفة) اللغة التى نزل بها القرآن فى لغات العرب:

الحق أن الطبرى أوفى القول فى ذلك بالرغم مما دار من جدل حول هذه القضية إلا أنه قد ناقشها مناقشة الواعى الماهر مستنداً فى ذلك على ما ورد من الأخبار المأثورة التى وردت فى هذا الشأن، فقد حدد لنا أن المراد بالسبعة أحرف سبع لغات من لغات العرب والدليل على ذلك تصويب النبى ﷺ لكل قراءة وأن اختلافهم فى القراءة إنما هو اختلاف ألفاظ باتفاق معان وأن تلك اللغات غير موجودة فى المصحف الآن لما جمع عليه عثمان الأمة على حرف واحد ومصحف واحد، وأن تلك الأحرف إنما هى بلسان بعض العرب دون الكل، فى حين أن القرطبى قد حدد لنا اختلاف العلماء حول الأحرف السبعة على خمسة وثلاثين قولاً ذكر منها خمسة أقوال ولم يحدد لنا رأيه فيها.

٨- (معرفة) مجمله ومفسره:

أشار الطبرى فى مقدمته إلى ذلك دون تفصيل.

٩- (معرفة) ناسخه ومنسوخه:

أيضاً أشار إليه الكبرى فى مقدمة تفسيره دون تفصيل بالرغم من بيانه لتلك القضية أثناء تفسيره على ما أوضحناه فى موضعه، نجد ابن جزى قد حدد لنا فى مقدمة تفسيره بم يتعلق النسخ ثم معنى النسخ ومتى يكون، وفيما يكون؟

---

(١) سورة البقرة : من الآية ١٠٤ .

بشئ من الاختصار والإيجاز كعادته.

١٠- الحض على تفسير القرآن ومن كان يفسره من الصحابة:

بين الطبري ضرورة التفسير حتى يفهم معنى الكتاب الكريم، وقد أورد في ذلك الأحاديث الدالة على ذلك كما بين من كان يفسره من الصحابة ومن كان يتحرج من التفسير.

في حين نجد أن القرطبي بين مراتب المفسرين انطلاقاً من رسول الله ﷺ وصحابته ثم التابعين، كما بين ابن جزي طبقات المفسرين من أيام رسول الله ﷺ من الصحابة والتابعين وذكر من صنف في التفسير.

١١- (معرفة) ترتيب سور القرآن وآياته وشكله ونقطه وتحزيبه:

ذكر القرطبي ذلك كما ذكر ما دار من خلال حول ترتيب سور القرآن هل كان بترتيب من رسول الله ﷺ أم من فعل صحابته وكذلك آياته، ثم بين متى تم شكله ونقطه وتحزيبه، نجد ابن جزي يتابع القرطبي في ذلك ولم يأت بجديد في ذلك.

١٢- (معرفة) إعجاز القرآن:

أفاض القرطبي في ذلك حيث عدد شروط المعجزة ومعناها وحقيقتها ثم حدد لنا وجوه إعجاز القرآن الكريم في عشرة أوجه أوضحناها في موضعها، نجد ابن جزي قد اختصر تلك الأوجه التي ذكرها القرطبي كعادة عصره.

١٣- (معرفة) فضائل القرآن:

ذكر القرطبي في مقدمة تفسيره وبين أن الناس قد صنفوا فيه كتباً كثيرة، نجد ابن جزي قد ذكر بعض الأحاديث الواردة التي تدل على ذلك.

١٤- (معرفة الفصاحة والبلاغة والبيان في القرآن:

حدد الزمخشري في مقدمة كشافه أن من شروط المفسر أن يكون حاذقاً بعلم البيان بينما ابن جزي أفرد باباً سماه: الفصاحة والبلاغة والبيان في القرآن، حدد فيه شروط الفصاحة ومعنى البلاغة وأدوات البيان وفيه نظر.

ثانياً: ما انفرد به كل منهم من علوم القرآن:

أ – ابن جرير الطبري:

١- معرفة تأويل آية وتفسير مشكله.

٢- معرفة المحكم والمتشابه.

٣- معرفة أن القرآن عربي.

٤- معرفة من كان محموداً تفسيره ومن كان مذموماً.

ب- الزمخشري:

١- معرفة علم المعاني

ج- القرطبي:

١- معرفة الأحاديث التي وضعت في فضل سور القرآن.

٢- معرفة ما جاء في حامل القرآن ومن هو.

٣- معرفة ما يلزم قارئ القرآن وحامله.

٤- معرفة ما ينبغي لصاحب القرآن أن يأخذ نفسه به.

٥- معرفة كيفية التعلم والفقه لكتاب الله.

٦- معرفة كيفية التلاوة لكتاب الله.

٧- معرفة ما جاء في فضل تفسير القرآن وأهله.

د – ابن جزى:

١- معرفة الفرق بين التفسير والتأويل.

٢- معرفة حاجة المفسر إلى علم الحديث.

٣- معرفة ما يتعلق بالقراءات.

٤- معرفة ما يتعلق بأحكام القرآن.

٥- معرفة ما يتعلق بالوقف.

٦- معرفة نزول القرآن.

٧- معرفة أول ما نزل وآخر ما نزل.